

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

موقف العبيديون من المالكية في القيروان

(297-362هـ/909-972م)

مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي LMD في تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

إشراف الدكتور:

محمد الصديق محمودي

إعداد الطالبين:

- علي زباش

- توفيق محمودي

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1			المسيلة	رئيسا
2	محمودي محمد الصديق	أستاذ محاضر ب	المسيلة	مشرفا ومقررا
3			المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/2020.



شكر وتقدير

الحمد لله على نعمه وفضله علينا، الحمد لله أن يسر لنا إنجاز وإتمام هذه الدراسة.

نتوجه بالشكر والعرفان للأستاذ الدكتور الفاضل

" محمودي محمد الصديق "

لإشرافه على هذه المذكرة، ولسعة صدره وصبره معنا، وعلى ما قدمه لنا من عناية ودعم

وتوجيهات، في سبيل إتمام هذا العمل.

كما نشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب

ومن بعيد.

إهداء

إلى كل من علمنا حرفا

إلى الوالدين الكريمين

إلى زوجتي وأولادي

إلى إخوتي جميعا

نهدي هذا العمل

مقدمة

عرفت بلاد المغرب الإسلامي صراعاً مذهبياً منذ القرن الثاني الهجري، حيث وجد الخوارج والشيعة المنطقة مؤهلة لزرع أفكارهم بين سكانها البربر الذين عرفوا بعدم الركون إلى السلطة المركزية الخارجية، في الوقت الذي باءت فيه كل محاولات الخوارج والشيعة في المشرق الرامية للقضاء على الخلافة الأموية ثم العباسية بالفشل، وقد تمكن الخوارج الصفرية من تأسيس أول إمارة تعتنق المذهب الخارجي في سجلماسة أقصى جنوب المغرب الأقصى، ثم أعقبها نجاح آخر للخوارج تمثل في قيام الإمارة الرستمية الإباضية في تاهرت بالمغرب الأوسط، ولم يكن الشيعة بمعزل عما يحققه الخوارج من نجاحات، فقد كان الدعاة الشيعة على قدر كبير من النشاط والعمل خاصة الإسماعيليون منهم الذين أسسوا أعظم دولة لهم في تاريخ الإسلام في بلاد المغرب الإسلامي، ألا وهي الدولة العبيدية الشيعية، معتمدين على ذكاء دعاةهم من جهة وعلى جهل أبناء قبيلة كتامة البربرية من جهة أخرى، فحققوا ما عجزوا عن تحقيقه في المشرق بقيادة الداعية أبي عبد الله الشيعي الذي نصب عبید الله المهدي خليفة على رأس الدولة العبيدية الشيعية التي بمجرد تأسيسها شرعوا في نشر مذهبها، وإذا علمنا أنّ مذهب أهل السنة في المغرب هو السائد كان من الطبيعي أن يحدث الصدام بين الطرفين، وكان علماء المالكية السنة الأجلاء في القيروان عملوا على مواجهة هذا المدّ الشيعي الإسماعيلي، وهو ما سنعمل على التطرق إليه من خلال البحث في إشكالية موضوع: "موقف العبيديين من المالكية في القيروان (296-362هـ/909-972م)".

دوافع اختيار الموضوع:

- أما عن دوافع اختيارنا لهذا الموضوع فيمكن إرجاعها إلى عدة اعتبارات:
- أهمية فترة حكم الدولة العبيدية الشيعية، ورغم قصر مدتها في المغرب الإسلامي إلا أنّها أكثر الفترات التي اشتد فيها الصراع المذهبي على أرض بلاد المغرب الإسلامي.
 - رغبة منا لتوضيح أهمية أسلوب العلماء ووسائلهم في محاربة العقائد المنحرفة.
 - رغبتنا الشديدة في الكشف عن ما عاشه علماء وفقهاء المالكية من ألوان التنكيل والاضطهاد على يد الشيعة.
 - محاولة الإسهام في قضايا النزاع والصراع المذهبي خاصة الشيعي السني، وإمطة اللثام عن الكثير من الحقائق التاريخية المسكوت عنها في الأبحاث والدراسات.

الدراسات السابقة في الموضوع:

لقد بنينا قاعدة بحثنا في هذا الموضوع، على دراسات سبقنا أصحابها بطرق وعناوين مقارنة لعنواننا، والتي تصبُّ مجملها في وعاء التاريخ المذهبي والسياسي لمنطقة المغرب الإسلامي، خلال فترات زمنية مختلفة،

حيث حاولنا الاستفادة منها وأخذ بعض ما جاء فيها كدليل علمي يساعدنا في بعض زوايا البحث، منها بعض الرسائل الأكاديمية في الدكتوراه والماجستير نذكر منها:

- "الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي: أسسه ، مجالاته ، وانعكاساته"، أطروحة دكتوراه لسبع قادة.
- "الدور السياسي والعلمي للفقهاء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي (296-361هـ/909-972م)" مذكرة ماجستير ليمينة كباس.

- "أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية"، رسالة ماجستير لحفيظ كعوان.

طرح الإشكالية:

وقد قمنا بطرح الإشكالية الرئيسية للموضوع على النحو التالي:

- كيف تعامل حكام الدولة العبيدية مع فقهاء وعلماء المالكية بالقيروان؟؛ والتي اندرجت تحتها إشكاليات ثانوية نوردتها كما يلي:

- كيف تم تأسيس الدولة العبيدية الشيعية بالمغرب الإسلامي؟، وكيف تم تثبيت وجود المالكية بالقيروان؟
- فيم تمثل موقف وسياسة العبيديين مع المالكية بالقيروان؟
- وكيف كان رد فعل علماء وفقهاء المالكية على تلك السياسة؟
- وفيم تمثلت جهود هؤلاء العلماء؟ وما هي طرائق مقاومتهم للشيعية الإسماعيلية؟
- وأخيرا ما هي النتائج المترتبة عن الصراع بين العبيديين والمالكية بالقيروان؟.

خطة البحث:

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بتقسيم بحثنا إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة،

- مقدمة توضح المراحل المنهجية لبحثنا، في صيغته المختصرة، وتحمل في طياتها إشكالية الموضوع.
- ثم فصل تمهيدي كان بمثابة أرضية لتعريف عناصر بحثنا، وقفنا فيه على قيام الدولة العبيدية بالمغرب الإسلامي سنة (297هـ/910م)، ثم أهم علماء وفقهاء المالكية الذين ثبتوا دعائم المذهب السني المالكي بالقيروان قبل دخول الوافد الجديد على المنطقة، وصولا في نهاية الفصل إلى التعريف بالقيروان، المدينة التي دار فيها هذا الصراع.
- أما الفصل الأول فتضمن سياسة العبيديين مع المالكية في القيروان، بداية بسياسة الداعي عبد الله الشيعي وموقفه من المالكية، ثم سياسة حكام الدولة العبيدية مع المالكية في القيروان، والتي تم تقسيمها حسب فترة حكم كل خليفة من الخلفاء الأربعة (عبيد الله المهدي، ثم القائم بأمر الله، ثم إسماعيل المنصور، وأخيرا المعز لدين الله).

- أما الفصل الثاني فقد تطرقنا فيه إلى مواقف علماء المالكية من العبيديين، وأساليب المقاومة التي انتهجوها، من مقاومة سلمية وصولاً إلى المقاومة المسلحة، ثم القضاء النهائي على المذهب الشيعي ببلاد المغرب الإسلامي.

- الفصل الثالث خُصِّصَ للحديث عن نتائج الصراع بين العبيديين والمالكية بالقيروان، بداية بذكر جرائم العبيديين، ثم المناظرات التي دارت بين الطرفين الشيعي والمالكي، وصولاً إلى المؤلفات التي حاول فيها كل طرف الدفاع عن مذهبه وإثباته، ثم الشعر.

- خاتمة ضمناها عصارة ما جاء بين طيَّاته من بنات أفكارنا، وما أمكننا استنتاجه مما جادت به أنامل المؤرخين من معلومات حول الموضوع، ومحاولة صياغتها في قالب سلس متجانس، يسهل على الباحثين والدارسين الاستفادة مما فيه، و ختمناه بالاقترحات المستفادة من البحث والواجب الأخذ بها.

منهج البحث:

للإجابة على إشكالية بحثنا في حُلَّتِه النهائية هذه، اعتمدنا على المنهج التاريخي واستقصاء المادة العلمية من المصادر والمراجع، بالرجوع إلى أمهات الكتب، فقد حرصنا على توثيقها مراعاة للأمانة العلمية، مستخدمين في ذلك، التحليل، واستخراج النتائج، ثم معالجة الاستنتاجات في مختلف المواضيع.

نقد المصادر والمراجع:

اعتمدنا في بحثنا هذا على عدة مصادر ومراجع نعرض أهمها في يلي:

أ-المصادر:

كان لكتب التراجم والطبقات منها الحظ الوافر في هذا البحث، ذلك أننا استندا عليها في كل فصول البحث تقريباً، فمعظم الفقهاء والشخصيات كانت بحاجة للترجمة، وجدنا ضالتنا في هذا النوع من الكتب ونذكر منها:

- كتاب "رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم" لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت484هـ/1091م)، الذي اعتمدنا عليه كثيراً خاصة في جزئه الثاني، وكان لهذا المؤلف الفضل الكبير في اطلاعنا على وجهة النظر السنية حول الصراع المالكي الشيعي ودواعيه.

- كتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ/1149م)، الذي يعد هو الآخر أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا، باعتباره أهم المصادر

وأحسنها لاسيما من الناحية المنهجية، حيث أنه أفرد كتابه هذا للحديث عن فقهاء المذهب المالكي، كانوا ببلاد المغرب الإسلامي أو مشرقه.

- كتاب "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" لأبي زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ (ت699هـ/1300م)، والذي أكمله أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت839هـ/1435م)، وهو من أكثر الكتب فضلا وأجلها قدراً، اعتمدنا عليه كثيراً في بحثنا هذا، ذلك أنه تميز عن غيره بتفصيل جميع ما نقل عن غيره من روايات، وزادتها قيمة تعليقات ابن ناجي عليها.

- كتاب "طبقات علماء إفريقية وتونس" للمؤرخ أبي العرب تميم (ت333هـ/945م)، يشير إلى المالكية الذين اشتهروا بالمناظرة، والاضطهاد الذي تعرضوا له على يد العبيدين؟.

كتاب "طبقات علماء إفريقية وتونس" لأبي عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني (ت361هـ/971م) الذي أتم مضيفاً إليه تراجم لبعض الأعلام المخالفة للمذهب المالكي، وأورد باباً حول الجدل والمناظرات التي دارت بين السنة والشيعة، على غرار كتابه "طبقات علماء إفريقية وقضاة قرطبة" الذي اعتمدنا على بعض نصوصه في هذا البحث.

- كتاب "سير أعلام النبلاء" لأبي شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي (ت714هـ/1314م)، والذي أفاد البحث بما أورده من معلومات حول أثر بعض فقهاء المالكية بإفريقية.

كانت تلك أهم كتب التراجم والطبقات السنوية التي اعتمدنا عليها في بحثنا دون أن نغفل نوعاً آخر من المؤلفات التاريخية، ذات الأهمية البالغة والصلة الوطيدة ببعض الجوانب المهمة من بحثنا نذكر منها:

- كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد بن عذارى المراكشي (ت712هـ/1312م) خاصة في الجزء الأول الذي عبّر فيه عن وجهة نظر سنّية لأعمال الدولة الشيعية ببلاد المغرب الإسلامي.

- كتاب "الكامل في التاريخ" لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير (ت630هـ/1233م)، الذي يعد من أهم الكتب التاريخية.

مثلما اعتمدنا على مصادر سنوية في استقراء أخبار بحثنا، اعتمدنا أيضاً على مصادر شيعية حملت بين نصوصها ما يفيدنا، نذكر منها:

- كتاب "افتتاح الدعوة" للقاضي أبي حنيفة محمد بن منصور المعروف بالقاضي النعمان (ت 363هـ/974م)، من أهم الكتب التي تؤرخ لتغلغل الفكر الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب الإسلامي، ومراحل تطور دعوته، كونه كان في خدمة الخلفاء العبيديين مدة طويلة.

- كتاب "اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" لتقي الدين المقرئ، الذي يعد أهم وثيقة تاريخية عن العهد العبيدي الشيعي، بدوره المغربي والمصري.

كما اعتمدنا على كتب الجغرافيا نذكر منها:

- كتاب "معجم البلدان" لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م)، الذي اعتمدنا عليه في تعريف بعض المناطق،

- كتاب "الروض المعطار في خبر الأقطار" لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت 727هـ/1326م)، الذي أمدنا ببعض المعلومات الجغرافية الدقيقة.

ب-المراجع:

اعتمدنا أيضا على جملة من المراجع لعلنا نذكر منها:

- كتاب "الفاطميون وحركات المعارضة في المغرب الإسلامي" لفاطمة بلهوارى، وهو عبارة عن رسالة أكاديمية ضمنتها صاحبها معلومات هامة عن محاربة الفاطميين للمذاهب المغربية، ومعارضة السنة المالكية للشيعية الإسماعيلية بإفريقية، والتي استفدنا منها كثيرا.

- كتاب "السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي" لمحمد الصالح مرمول، الذي أفادنا كثيرا خاصة في السياسة المذهبية للخلافة الفاطمية.

- كتاب "جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة" لإبراهيم التهامي

- وكتاب "الخلافة الفاطمية بالمغرب" لفرحات الدشاوي، وكتاب "دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية" لموسى لقبال، وغيرها من المراجع الأخرى.

الصعوبات:

واجهتنا في سبيل إعداد هذا البحث في هيئته النهائية بعض العثرات، والتي حاولنا جاهدين تجاوزها، إذا لا يمكن أن نصفها بالصعوبات، كونها لا تعدوا أن تكون مَطَبَّات تستوجب من كل باحث بذل ما أوتي من جهده لتجاوزها، وهو ما توخينا في بحثنا هذا، ولعلنا نذكر مما صادفنا:

- بعض الصعوبة في التوفيق بين أعمال وسياسة العبيديين مع المالكية على المستوى المغرب الإسلامي عامة، وعلى مستوى القيروان بشكل خاص.

- رغم وفرة المادة العلمية عن المالكية والتي أوردت أمهات كتبهم بكثير من التفصيل عن ما لاقوه من محن وتضييق من طرف العبيديين، إلا أن الجانب الشيعي الإسماعيلي لا يكاد يذكر تلك الجرائم إلا قليلاً.

- ضيق الوقت لأن طبيعة الموضوع في حد ذاته، يتطلب القراءة المتأنية والتمعن الطويل في النصوص التاريخية.

- صعوبة التوفيق بين الحياة العائلية و الالتزامات المهنية والعلمية.

وحسبنا أننا لم ندخر في سبيل المساهمة في بناء صرح المعرفة التاريخية جهداً، رغم ما تكتسبه مثل هذه البحوث - العقدية المذهبية - من أشكال العسر والمشقة ، ووعيا منا بما قد يحتويه هذا البحث من عوارض الضعف والتقصير، فإننا نرُدُّه إلى أنفسنا، وعزاًؤنا في ذلك أننا ما استبقينا شيئاً من وسع قدرتنا وجهدنا إلا بذلناه، فنحمد الله على ما وفقنا إليه، ونستعيد به مما قصرت أنفسنا فيه.

ولا يفوتنا في الأخير أن نصل بالشكر لأستاذنا المشرف: محمودي محمد الصديق، وننوه بجزيل فضله، وعظمة امتناننا وعرفاننا لكل ما أبداه من أشكال العون والنصح و الإرشاد لنا، في سبيل إخراج هذا البحث في هيئته هذه ، داعين الله عزَّ وجل أن يَتَلَحَّفَهُ برداء الحفظ والسداد، وأن يوفقنا وإيَّاه إلى ما يحبه ويرضاه ، هو مولى ذلك والقادر عليه.

الفصل التمهيدي

العبيديون والمالكية بالقيروان (297 هـ / 909م)

1- قيام الدولة العبيدية في المغرب الإسلامي.

2- فقهاء وعلماء المالكية في القيروان.

3- التعريف بالقيروان.

شهدت بلاد المغرب الإسلامي قيام العديد من الدول على أراضيها، خاصة بعد فشل زعماء هذه الدول من تأسيسها بالشرق الإسلامي، لتكون أرض المغرب ملاذ هؤلاء لعدة اعتبارات، ومن بين هذه الدول نجد الدولة العبيدية الشيعية الإسماعيلية، التي استوطنت في أجزاء واسعة من بلاد المغرب. فكيف تم تأسيس هذه الدولة؟

1- قيام الدولة العبيدية في المغرب الإسلامي (297هـ/909م):

اتسعت دائرة الدعوة الشيعية¹ الإسماعيلية² في أرجاء العالم الإسلامي، حيث وجهوا اهتمامهم إلى نشر الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن، لتكون مركزاً لها لبعدها عن أنظار الدولة العباسية، وقد تولاهم الداعي رستم بن حوشب³، فأرسل من اليمن رجلين من أنصاره هما أبو سفيان والحلواني⁴ إلى بلاد المغرب الأدنى لنشر المذهب الشيعي، واستطاعا أن يتوغلا بأفكارهما في قبائل البرانس القوية.

وبعد وفاتهما في حدود سنة (288هـ/901م)، اختار ابن حوشب أبا عبد الله الشيعي⁵ ليكمل مهمتهما، وكان قد وقع اختيار ابن حوشب على هذا الرجل لما لمس فيه من صفات قيادية بارزة من علم وذكاء

¹ - الشيعة لغة: تعني الأعوان والأحزاب، كما تعني الفرقة، قال الله تعالى: «وَكَاثِبُوا شَيْعاً» أي فرقة، (الروم: الآية 32). وشيعة الرجل: أتباعه وأهل ملته، قال الله تعالى: «وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ»: أي من أهل دينه، (الصفات: الآية 83). ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق، محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، ج3، ص ص، 40، 41.

- اصطلاحاً: الشيعة هي فرقة مذهبية، الذين شاعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصيةً، إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، (د، ط)، مؤسسة الحلبي، (د، م)، ج1، ص146.

² - الإسماعيلية: وهي فرقة من الفرق الشيعية، وهم يزعمون أن الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل وكذبهم في هذه المقالة جميع أهل التواريخ لما صحّ عندهم من موت إسماعيل قبل أبيه جعفر، وقوم من هذه الطائفة يقولون بإمامة محمد بن إسماعيل وهذا مذهب الإسماعيلية من الباطنية. ينظر: الأسفرايني، التصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق، كمال يوسف الحوت، ط1، عالم الكتب، لبنان، 1983، ج1، ص38.

³ - رستم بن حوشب: داعي شيعي، وهو أبو القاسم بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي ولد سنة (230هـ)، وسمي بمنصور اليمن لما أتيح له من النصر، وأنه كان من أهل الكوفة من بيت علم وتشيع، توفي سنة (303هـ). ينظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2005، ص6.

⁴ - الحلواني: داعي شيعي، اسمه عبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني، أصله من العراق، أرسله جعفر الصادق مع أبي سفيان إلى بلاد المغرب لنشر الدعوة الشيعية فيها، فتشيع كثير من الناس على يديه، ينظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص ص، 23، 24.

- أبو سفيان: داعي من دعاة الشيعة، وهو الحسن ابن القاسم، نزل بموضع تالا من أرض مرماجة بإفريقية، كان له من الفضل والعبادة والذكر في الناحية ما اشتهر به ذكره، وكان أهل تلك النواحي يأتونه ويسمعون فضائل أهل البيت منه، ويأخذونها عنه، فتشيع من أهل مرماجة من تشيع، توفي أبي سفيان قبل وصول الداعي عبد الله الشيعي. ينظر: القاضي النعمان، نفسه، ص ص، 23، 24.

⁵ - أبو عبد الله الشيعي: داعي شيعي، وهو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي، من أهل مدينة صنعاء باليمن، القائم بدعوة عبيد الله المهدي، تمكن من التوطيد لدولة العبيديين الباطنية في بلاد المغرب، ولما قامت الدولة الفاطمية الباطنية خالف إمامه عبيد الله وأضر له

ومقدرة في التعامل مع الناس، كما رأى أن أرض المغرب خصبة للبذور الشيعية، وقال له: « إن أرض كتامة¹ في بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وسفيان، وقد ماتا، وليس لك غيرها فبادر فإنها موطأة ممهدة لك²». وفي سنة (288هـ/901م) وصل أبو عبد الله الشيعي إلى مكة، وكان ابن حوشب قد أمده بالمال وزوده بالنصائح و أخرجه مع الحجاج إلى مكة، وفيها التقى ببعض الحجاج وهم من شيوخ كتامة، الذين أعجبوا بأفكاره، فاصطحبوه معهم إلى المغرب بصفته معلم قرآن³، وهناك نزل في فج الأخير⁴، و في الوادي اختبر أبو عبد الله الشيعي مدى تحمس كتامة لنصرة دعوته إذ قال: هذا فج الأخير، و ما سمي إلا بكم، و لقد جاء في الآثار أن للمهدي هجرة تنبؤ عن الأوطان، ينصره فيها الأخير من أهل ذلك الزمان، قوم اسمهم مشتق من الكتمان، و بخروجكم من هذا الفج سمي فج الأخير⁵، ويبدو واضحا أن هذا الكلام فيه تدليس عظيم، كما يدل على أن الداعي الشيعي اعتمد على السحر والشعوذة لإيهام الناس وإقناعهم بأفكاره الشيعية. أكرم أهالي كتامة وفادة أبي عبد الله الشيعي والتفوا حوله، وازدادت محبتهم له وتعظيمهم لأمره، عندما قال لهم: أنا صاحب البذر الذي أخبركم به أبو سفيان والحلواني، فأنته القبائل من كل مكان⁶، وأخذ أبو عبد الله على عاتقه تنظيم صفوفهم، وقسمهم إلى سبعة أقسام، وجعل على رأس كل قسم منها داعية يثق فيه، فاستطاع بهذا الأسلوب العملي إقامة مجتمع يدين بفكرة إقامة الدولة المثالية التي يحكمها إمام من آل البيت،

الشر، فعلم "المهدي" بذلك فدمس عليه من قتله و أخاه أبا العباس في سنة 298هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج2، ص 192.

¹ - كتامة : إحدى قبائل البربر الكبرى في بلاد المغرب، أكثرها في أرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا إلى جبال أوراس من ناحية القبلة، ينظر: بن خلدون، كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983، ج6، ص، 301؛ موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص92 وما بعدها.

² - المقرئزي: اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج1، القاهرة، ط1، ص55.

³ - عبد الله محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن4 هـ، دار الثقافة، القاهرة، 1991، ط 1، ص 42.

⁴ - فج الأخير: هو مكان قرب قسنطينة، في جبل إيكجان في أرض كتامة، تعرف بمناعتها، يسكنها قبائل من كتامة، وكانت بها أسواق عظيمة، وكانت كبيرة أهلة بالسكان، وفيه أقام أبو عبد الله الشيعي وسماه دار المحجرة، ينظر: حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، المطبعة الأميرية بالقاهرة، مصر، 1932، ص، 55.

⁵ - المقرئزي: المصدر السابق، ج1، ص، 57؛ عبد الله محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن4 هـ، دار الثقافة، القاهرة، 1991، ط 1، ص 42.

⁶ - محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ت)، ص ص23.

ويعد نجاح ذلك اتخذ أبو عبد الله الشيعي من أبناء كتامة جندا يدافعون عن الدعوة ، وبهاجمون القوى السياسية الموجودة بالمنطقة.¹

بعد انتشار دعوته و تهيكلها انتقل إلى الخطوة التالية وهي إقامة الدولة مستغلا نجاح دعوته والظروف المحيطة؛ فبسبب الظلم والباطل والضعف الذي انتشر في دولة الأغالبة الحاكمة في المغرب الأدنى (184-296هـ/800-909م)، بدأ في بسط نفوذه في شمال إفريقية، فوعدت في يده عدة مدن، وساعده في ذلك وفاة أمير الأغالبة أبو العباس عبد الله سنة (290هـ/904م)، وتولي زيادة الله الثالث الحكم بعده، الذي انصرف إلى اللهو والترف، واستمرت الحرب بين قواته وزيادة الله الثالث حتى سنة (296هـ/909م)، إلى أن سقطت مدينة الأريس² في يد قواته، وهذه المدينة هي مفتاح الدخول إلى رقادة³ العاصمة السياسية للبلاد، ففر زيادة الله الثالث آخر أمراء الأغالبة إلى مصر، ودخل أبو عبد الله الشيعي رقادة.⁴

وأعلن أبو عبد الله الشيعي إثر هذا النصر الحاسم على الأغالبة أن الإمام الحقيقي للمسلمين هو عبيد الله المهدي⁵ وأنه قريبًا سيصل إلى بلاد المغرب ويظهر العدل والمساواة، فانضم إليه بعض قواد الأغالبة، وأصبح جيشه مائتي ألف مقاتل لكي يدافعوا عن المذهب الشيعي الإسماعيلي والدولة الجديدة.⁶

نستنتج مما سبق أن نجاح أبو عبد الله الشيعي المؤسس الحقيقي للدولة العبيدية في نشر التشيع بين أفراد قبيلة كتامة البربرية، كان بعد مجهودات دعوية كبيرة في بدايتها وسياسية وعسكرية بعد ذلك، منتصرا على جميع العقبات التي اعترضت طريقه بفضل ذكائه وقوة عزيمته.

بعد أن تمكن أبو عبد الله الشيعي في تثبيت دعائم الحكم في رقادة بواسطة زعماء قبيلة كتامة، وأرسل إلى عبيد الله المهدي وابنه القائم للمجيء إلى رقادة، وشد عبيد الله رحلته من مدينة سلمية من أعمال حمص

¹ - القاضي النعمان: المصدر السابق، ص، ص، 124، 125. فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص، ص، 114، 115.

² - الأريس: مدينة بافريقية، بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام من جهة المغرب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995، ص170.

³ - رقادة: بلد بتونس بينها وبين القيروان أربعة أيام أكثرها بساتين، بناها إبراهيم بن الأغلب، وبنى بها قصورا عجيبة، وانتقل إليها ولا زالت دار ملك بني الأغلب حتى غلب عليها الشيعة فتركوها وسكنوا المهديية بعد ما بنوها. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص، ص، 54، 55.

⁴ - محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص، ص، 23، 24.

⁵ - عبيد الله المهدي: أبو محمد عبيد الله، قيل في نسبه أقوال مختلفة كثيرة، حاصلها أنه ليس بماشي ولا فاطمي، ولد سنة (259هـ/837م) بسلمية وقيل بالكوفة، خاطر في طلب الملك قاصدا بلاد المغرب، بوع بالخلافة سنة (297هـ/910م) وتلقب بالمهدي، بنى مدينة المهديية سنة (308هـ/920م) واتخذها عاصمة له، ولم يزل سلطانه يتمهد وظهوره يتزايد إلى أن توفي سنة (322هـ/934م). ينظر ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص117-119.

⁶ - المقرئبي: المصدر السابق، ص59.

بالشام إلى مصر، ثم برقة، ثم طرابلس متخفياً في ثياب التجار، ولفقت قصص عجيبة في نجاته من ولاية الدولة العباسية، ووقع في أسر بني مدرار أمراء سجلماسة جنوب المغرب الأقصى¹.

واستطاع أبو عبد الله الشيعي في سنة (296هـ/909م) أن يجهز جيشاً ضخماً حطم به دولة بني مدرار، وخلص عبيد الله المهدي وابنه من السجن، وفي طريق عودته، مر الجيش بتيهرت وأزال دولة بني رستم، وتمت بيعة عبيد الله المهدي في رقادة سنة (297هـ/910م)، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين، ليظهر بذلك أنه أصبح صاحب البلاد، ثم بدأ بتنظيم دولته، وأبطل ذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة، وانتهت ولاية الداعية أبي عبد الله الشيعي².

وبهذا نجح الشيعة الإسماعيليون في إقامة الدولة الفاطمية التي زعم نسبها إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في القسم الأكبر بلاد المغرب الإسلامي.

ومما سبق ذكره يمكن القول أن الشيعة تأسسوا كجماعة سياسية تسعى إلى خلافة علي بن أبي طالب وبنيه، مستخدمين في ذلك أساليب جمعت بين الجانب النظري والجانب العملي المنظم، إلى أن تمكنوا من تأسيس الدولة العبيدية ذات المذهب الشيعي الإسماعيلي في بلاد المغرب الإسلامي، والذي يعد أكبر انتصار سياسي حققه الشيعة الإسماعيلية في نهاية القرن الثالث الهجري و بداية القرن الرابع الهجري.

2- فقهاء وعلماء المالكية بالقيروان:

إن الحديث عن فقهاء وعلماء المالكية بالقيروان يدفعنا إلى البحث عن الجذور التاريخية لانتشار وتمكين المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي، ومراحل انتشاره، وأهم العلماء والفقهاء الذين ساهموا في نقل هذا المذهب ونشره بين عامة الناس، سواء عن طريق التدريس والفتيا والقضاء والشورى وغيرها من وظائف الدولة، لنصل في الأخير إلى تحديد أهم العلماء والفقهاء المالكيين بالقيروان خلال الفترة العبيدية وفق الإطار الزمني للموضوع.

وفد المذهب المالكي إلى بلاد المغرب الإسلامي عن طريق طلبة العلم المرتحلين منه إلى بلاد المشرق، وإلى الحجاز خاصة بغية حج بيت الله الحرام، وكذا التزود من ما فيها من علوم خاصة بعدما ذاع صيت الإمام

¹ - محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص، ص 25، 26.

² - محمد سهيل طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص، 77.

مالك¹، وانتشر في البقاع ضرب الرحال إليه، فكان بذلك عامل الرحلة السبب الرئيسي في دخول المذهب المالكي إلى المغرب الإسلامي، كما يؤكد ذلك العلامة ابن خلدون (ت808هـ/1406م): " إذ كانت في البداية رحلتهم مقصورة على الحجاز، وإمامها يومئذ هو الإمام مالك، فكانت من الطبيعي أن يتأثروا بهذا المذهب وبصاحبه، وهذا ما حصل فعلاً"².

لقد تحدثت كتب الطبقات عن مجموعة من طلبة المغرب الإسلامي، خرجوا في رحلة منتصف القرن الثاني الهجري إلى المشرق، وضمت هذه الرحلة من طلبة المغرب الأدنى: علي بن زياد³، والبهلول بن راشد⁴، وعبد الله بن فروخ⁵، وفي هذا يقول القاضي عياض: "و أما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين، إلى أن دخل علي بن زياد والبهلول بن راشد وبعدهم أسد بن فرات، وغيرهم، بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس، ولم يزل يفشوا إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين، واستقر المذهب بعده في أصحابه، فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا"، وقد انتشر المذهب المالكي في بلاد المغرب تدريجياً عن طريق تدريس موطأ الإمام مالك⁶.

وبعد عودة طلبة العلم الذين سبق ذكرهم إلى ديارهم، بدأ الدور الثاني لانتشار وتمكين المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، فقد عرفت المنطقة حركية علمية ونشاط فقهي مميز، بداية بعودة علي بن زياد، ثم البهلول

¹ - الإمام مالك: هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي اليمني. ولد سنة 93 هـ شمال المدينة المنورة، ونشأ في بيت علم، فقد حفظ القرآن والحديث النبوي وهو لا يزال صغير السن. وإليه ينسب المذهب المالكي، توفي سنة (179هـ). أنظر: سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، ط 3، دار الأوتل، دمشق، 2005، ص، ص، 154، 155.

² - عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، تق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1988، ص 245.

³ - علي بن زياد: هو أبو الحسن علي بن زياد العبسي التونسي، كان ثقة مأموناً فقيهاً بارعاً في الفقه سمع من مالك بن أنس والثوري، ولم يكن في عصره بإفريقية مثله، وسمع عنه بهلول بن راشد وأسد بن فرات، كان أول من أدخل المغرب "جامع سفيان الثوري" و "موطأ مالك". ينظر: أبو العرب، طبقات علماء إفريقية و تونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د، ت)، (د، ط)، ص 251؛ المالكي: رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ط 2، ص، ص، 234-237.

⁴ - البهلول بن راشد: أبو عمرو بهلول بن راشد، كان ثقة مجتهداً ورعاً لا يشكّ في أنّه مستجاب الدعوة، وكان عنده علم كثير، سمع من مالك بن أنس ومن سفيان الثوري، ومن عبد الرحمان بن أنعم ومن الليث بن سعد، ويذكر أنه توفي سنة (183هـ) بالقيروان وهو ابن خمس وخمسين سنة. ينظر: أبو العرب: المصدر السابق، ص 52؛ الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: أبو الفضل بن ناجي التنوخي، (د، م)، (د، ت)، (د، ط)، ج 2، ص 278.

⁵ - أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي: كان من شيوخ أهل إفريقية، لقي بالمشرق مالك بن أنس، وسفیان الثوري، وكان فاضلاً صالحاً متواضعاً في نفسه، قليل الهيبة للملوك في حق يقوله، لا يخاف في الله لومة لائم، مابينا لأهل البدع ومعاديا لهم، حافظ للحديث والفقه. يقال أنّه ولد بتونس سنة اثنتين وأربعين ومائة، وتوفي سنة (175هـ). ينظر: أبو العرب، المصدر السابق، ص 34؛ المالكي، المصدر السابق، ج 1، ص، ص، 176، 177.

⁶ - القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تق: محمد بن تاويت الطنجي، ج 1، (د، د ن)، الرباط، المملكة المغربية، ط 2، 1983، ص، ص، 25، 26.

بن راشد، وعبد الله بن عمر بن غانم¹، وبعده تلميذاه الذين تخرجوا على يديه أسد بن الفرات²، الذي كان له أكبر أثر في تدوين فقه المدرسة المالكية من خلال كتابه المعروف بالأسدية نسبة إليه، و سحنون بن سعيد (ت240هـ)³، الذي استطاع هو الآخر أن يربط تلك الفروع بأصولها في مدونته⁴.

وقد عرفت المنطقة في زمن الإمام سحنون ازدهارا علميا كبيرا خاصة على مستوى المدرسة المالكية، حتى جعل ابن حارث⁵ عهده كأنه مبتدأ قد محا ما قبله، فكان أصحابه سرح أهل القيروان،" فهو علمها، وابن عبدوس⁶ فقيهاها، وابن عمر⁷ حافظها"، كان هذا العهد بداية ترسيخ لأسس قاعدة المدرسة المالكية بالمغرب الإسلامي، ليتم لهذه النخبة الفضل في التقدم بزيادة توسع هذه المدرسة على نطاق شعبي واسع.

بعد هذه الكوكبة من الفقهاء خلفهم خلف واصل المسيرة من طلبتهم، وهم من تولوا الدور الثالث لترسيخ المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، وهم من عايشوا سقوط دولة الأغالبة وقيام الدولة العبيدية، وعايشوا عنفوان المد الشيعي والمقاومة العنيفة له، ولم يستجيبوا لكل وسائل الترغيب والترهيب التي لجأ إليها العبيديون،

¹ - عبد الله بن عمر بن غانم: كان ثبنا ثقة نبلا، وكان فضله وعلمه ودينه وورعه في غاية الشهرة، تولى قضاء إفريقية سنة (171هـ)، وكان عدلا في قضاؤه، وهو يومئذ ابن اثنتين وأربعين سنة، سمع من مالك، وسمع من عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، ومن سفيان الثوري، ومن غيرهم، توفي سنة (190هـ)؛ ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص215؛ أبو العرب، المصدر السابق، ص43؛ الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص289.

² - أسد بن الفرات: يكنى أبا عبد الله، مولى بني سُلَيْم، أصله من خراسان من نيسابور، قدم القيروان سنة (144هـ)، سمع من علي بن زياد وتعلم منه، ثم ارتحل إلى المشرق فلقي مالك بن أنس وطلب عليه العلم وسمع منه الموطأ، كان ثقة لم يكن فيه شيء من البدع، تولى قضاء إفريقية سنة (203هـ)، توفي سنة (213هـ). ينظر: أبو العرب، المصدر السابق، ص81، 82؛ المالكي: المصدر نفسه، ج1، ص255.

³ - سحنون بن سعيد: هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، سمع من علماء إفريقية، ومن علماء مصر والمدينة والشام، كان جامعا للعلم، فقيه البدن، اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، لا يقبل من السلطان شيئا، كان أول من شرد أهل الأهواء من المسجد الجامع، ولم يكن يهاب سلطانا في حق يقيمه، ولي القضاء سنة (234هـ)، وأقام قاضيا ست سنين، ولم يأخذ على القضاء أجرا، وتوفي سنة (240هـ)؛ ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج1، ص345، 346؛ أبو العرب، المصدر السابق، ص102.

⁴ - يوسف حوالة: الحياة العلمية في إفريقية «المغرب الأدنى» منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000، ج1، صص، 279، 280.

⁵ - ابن حارث: هو محمد بن الحارث بن أسد الحشني، يكنى أبا عبد الله، الفقيه الحافظ الإمام العالم المؤرخ، سمع من أحمد بن زياد وابن اللباد، وغيرهم، له تآليف كثيرة أوصلها بعض المؤرخين إلى المائة، منها الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك، وتاريخ علماء الأندلس، وطبقات فقهاء المالكية، وتاريخ قضاة الأندلس، وكتاب في حياة سحنون، توفي سنة (361هـ)؛ ينظر: محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكنتها، القاهرة، 1980، ص95.

⁶ - وابن عبدوس: هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عبدوس، فقيه زاهد من أكابر المالكية، ومن أصحاب سحنون، من أهل القيروان، أصله من العجم وهو من موالي قریش، له مجموعة في الفقه والحديث لم يتم؛ وكتاب (التفاسير) وشرح مسائل من المدونة، توفي سنة (261هـ). ينظر: المالكي، المصدر السابق ج1، صص، 459، 460.

⁷ - ابن عمر: هو يحيى بن عمر الأندلسي، سمع من سحنون وهو من كبار أصحابه، رحل إلى المشرق، ثم عاد فسكن القيروان حتى مات سنة (289هـ)، من مؤلفاته أحكام السوق. ينظر: أبو العرب، المصدر السابق، صص، 134، 135؛ المالكي، المصدر نفسه، ج1، ص490.

لإثرائهم عن مذهبهم المالكي، وقد دفع بعضهم حياته ثمنا لامتناعه عن تبديل مذهبه¹، وسأني إلى تفصيل ذلك في موضعه في الفصول اللاحقة.

3-التعريف بالقيروان:

تأسست القيروان في سنة(50هـ/670م)، وتولى ذلك عقبة بن نافع الفهري² عندما قاد الجيوش لفتح المغرب، فسار عقبة في عشرة آلاف من المغاربة والبربر الذين أسلموا في برقة فنزل بقمونية وهو مكان القيروان اليوم في الوسط الشرقي لإفريقيا (تونس) فعكف عقبة والمسلمون على بناء مدينة القيروان³.

وبذلك كان عقبة بن نافع أول من اختط القيروان وأقطعها للناس مساكن ودورا⁴، وكان دورها ثلاثة آلاف باع وست مائة باع ، ودخل كثير من البربر في الإسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود في مدينة القيروان وأمنوا اطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها⁵، وتمت سنة 55هـ بفضل جهود عقبة بن نافع إلى أن عُزل عن ولايتها⁶.

وقد ضمت مدينة القيروان الكثير من المساجد بلغت زهاء ثلاثمائة بيت يعبد فيها الله، وكان أعظمها وأشهرها المسجد الجامع الذي أسسه عقبة عند تخطيط القيروان، وضمت دار الإمارة والدواوين والأسواق وحوانيت التجارة والصنائع، والحمامات والمستشفيات والقصور⁷.

وقد أصبحت القيروان مقرا لإدارة شؤون ولاية إفريقيا بعد تثبيت أقدام المسلمين فيها، فتوافد عليها الولاة من قبل خلفاء بني أمية ثم من قبل خلفاء بني العباس⁸، وعلى هذا يمكن القول أن مدينة القيروان دار ملك المغرب ورأت من الممالك والملوك والدول والفقهاء والعلماء والصالحين ما لم يكن مثله في قطر من الأرض⁹.

¹ - يوسف حوالة : المرجع السابق، ج1، ص، 284.

² - عقبة بن نافع : تابعي جليل، اسمه عقبة بن نافع بن قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث أمه من لحم أبوه نافع بن عبد قيس ، فاتح المغرب الشهير ومؤسس مدينة القيروان، ولما كان بتهودة طمع به خصومه فقتلوه سنة 63هـ. قبره معروف باسمه " سيدي عقبة" يقع على بعد 20 كلم من مدينة بسكرة إلى الجنوب الشرقي منها. ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان ، ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة بيروت، 1983، ج1، ص19؛ المالكي، المصدر نفسه، ج1، ص97.

³ - محمد علي دبوبز: تاريخ المغرب الكبير، (د، ط)، منشورات مؤسسة تالوت الثقافية ، 2010، ج2، ص ص، 51، 52.

⁴ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج5، دار المعارف، القاهرة، (د، ت)، ط2، ص، 240.

⁵ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج3، ص ص، 320، 321.

⁶ - ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، (د، ط)، (د، م)، (د، ت)، ج1، ص 265.

⁷ - الحميري: الروض العطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، منشورات مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 487.

⁸ - محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1988، ص103.

⁹ - الحميري : المصدر السابق ، ص 487.

فقد كانت القيروان منذ الفتح دار العلم بالمغرب وإليها ينسب أكابر العلماء وكانت من أبرز المحطات التي يقصدها الوافدون في طلب العلم¹، ويقول الدباغ في وصف القيروان: "البلد الأعظم والمصر المخصوص بالشرف الأقدم، قاعدة بلاد الإسلام والمسلمين بالمغرب، وقطرهم الأفخر الذي أصبح لسان الدهر عن فضله يعرب، وبشرفه يعرب، قرارة الدين والإيمان والأرض المطهرة من رجس الكافرين وعبادة الأوثان، قبلتها أول قبلة رسمت في البلاد المغربية"².

وهكذا تأسست القيروان وأصبحت على صلة وثيقة بغيرها من مراكز العلم ونتج عن هذا علاقات علمية قوية، مما جعلها دائماً في نمو علمي متجدد، بحيث تأخذ وتعطي، أو تؤثر وتتأثر، مما أدى إلى نمو الحركة العلمية في القيروان وجعلها منارة مشعة من منارات العلم في العالم الإسلامي.

شهدت القيروان في عهد الأغالبة ازدهاراً كبيراً للحياة العلمية فيها، لطول عمر هذه الدولة وما شهدته من الاستقرار، بالإضافة إلى أنّ مؤسسها قد طلب العلم في أول حياته، وكان حافظاً للقرآن يلي الصلاة في الجامع الأعظم بنفسه، فكان يعرف حق العلم وأهله³، كما استقرّ بالقيروان المذهب المالكي والحنفي، وكثر العلماء و تكثفت الرحلة إلى المشرق، وبدأت المصنفات الحديثية تدخل القيروان، مثل جامع سفيان الثوري، وأقبل أهل القيروان على التصنيف، فصنف يحيى بن سلام (ت200هـ) تفسيره وجامعه في الحديث، ورتب الإمام سحنون المدونة وذيل مسائلها بالأحاديث، وصنّف محمد بن سحنون شرحاً على الموطأ ومسنداً في الحديث، وغير ذلك.⁴

وفي العصر العبيدي لم تفقد القيروان إشعاعها الثقافي، إذ تعاضم دورها و تنامي حين تصدى علماءها لدعاة وعلماء الإسماعيلية في المهديّة الذين كانوا يستمدون قوتهم من الخلفاء العبيديين، هؤلاء الذين كانوا يروجون لأفكار الشيعة الإسماعيلية حسبما سنعرضه فيما بعد.⁵

¹ - المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهوارى، ط1، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ج1، ص255.

² - الدباغ: المصدر السابق، ج1، صص، 6، 7.

³ - الحسين شواط: مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري، ط1، الدار العلمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ج1، 1411هـ، ص66.

⁴ - نفسه، ج1، ص68.

⁵ - يوسف حوالة: المرجع السابق، ج1، ص150.

كما أن الخليفة الشيعي عبيد الله المهدي لم يستقر بها طويلا بل قام ببناء مدينة المهديّة¹ سنة (303هـ) وانتقل إليها سنة (308هـ)، نظرا لجو العداة الذي كان محتدا بين الشيعة الإسماعيلية وبين جل سكان السنة، وشعور الخليفة عبيد الله المهدي بعدم القبول في القيروان و رقادة.²

¹ - المهدي: سميت بالمهديّة نسبة إلى الخليفة عبيد الله المهدي، وهي عبارة عن شبه جزيرة تقع على رأس بارز من البحر، وهي إلى الشرق من مدينة سوسة، وتبعد عن القيروان مرحلتين. ينظر: يوسف حوالة، المرجع السابق، ج1، ص 171.

² - يوسف حوالة : المرجع السابق، ج 1، ص171.

الفصل الأول

سياسة العبيدين مع المالكية في القيروان

1- سياسة عبد الله الشيعي مع المالكية في القيروان

(296-298هـ/909-911م)

2- سياسة حكام الدولة العبيدية مع المالكية في القيروان:

2-1- سياسة عبيد الله المهدي (297-321هـ/909-933م)

2-2- سياسة القائم بأمر الله (322-334هـ/934-947م)

2-3- سياسة إسماعيل المنصور (334-345هـ/947-957م)

2-4- سياسة المعز لدين الله ا (345-361هـ/957-972م)

بدأ العبيديون بعد تمكنهم من الحكم، في الترويج لمذهبهم الشيعي، وأخذوا يكرهون الناس على الدخول فيه والعمل ببدعهم وكفرهم، ومن أكثر البلاد التي عانت الوبلات أثناء حكمهم القيروان، إذ كانت عاصمة العلم والفقه، وكانت تزخر بالعلماء والفقهاء خاصة المالكية، فعزم العبيديون على كسر شوكتهم وإذلالهم حتى يستتب لهم الأمر، فرهبوهم ورغبوهم طمعا في أن يسكتوا عنهم أو يقبلوا بهم حتى يأخذ حكمهم شرعية هم في حاجة إليها؛ فما موقف العبيديين من علماء المالكية في القيروان؟؛ وما هي السياسة التي اتبعتها حكام الدولة العبيدية في تعاملهم مع المالكية؟.

1- سياسة الداعي عبد الله الشيعي مع المالكية (296-298هـ/909-911م):

لما استقر الأمر لعبد الله الشيعي في القيروان حاول في أول أمره أن يقنع العلماء بمذهبه وينظرهم عليه، قال عياض: "وكان عبد الله المعروف بالمختال، صاحب القيروان، شدّ في طلب أهل العلم، ليشرقهم¹، فطلب الشيخ أبا سعيد بن أخي هشام²، وأبا محمد التبان³، وأبا القاسم بن شبلون⁴، وأبا محمد بن أبي زيد⁵، وأبا الحسن القابسي⁶، رضي الله عنهم؛ فاجتمعوا في مسجد ابن اللجام واتفقوا على الفرار؛ فقال لهم ابن التبان: أنا أمضي إليه، وأكفيكم مؤونة الاجتماع، ويكون كل واحد منكم في داره؛ ويقال إنهم أرادوا السير إلى عبد

¹ قال القاضي النعمان: و اشتهر أمر أبي عبد الله ببلد كتامة و سمي المشرقي لقدمه من المشرق، ثم نسب إليه كل من بايعه و دخل في دعوته و سموا المشاركة. ينظر: القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 79.

² أبو سعيد بن أخي هشام: كان فقيها حافظا، وأعلم الفقهاء بمذهب الإمام مالك، سمع عن احمد بن نصر وبن اللباد وغيرهم، وتفقه عليه أكثر القرويين. توفي سنة (373هـ)؛ ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص، 99، 104.

³ أبو محمد التبان: هو أبو محمد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان، الفقيه، الإمام، العالم بمذهب الإمام مالك، كان أحفظ الناس بالقرآن والتفنن في علومه، عالما بالفقه والنحو والحساب والنجوم، كان من أشد الناس عداوة لبني عبيد، ومناظرا لهم، توفي سنة (371هـ). ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص248.

⁴ أبو القاسم بن شبلون: اسمه عبد الخالق، ابن أبي سعيد، واسمه خلف، تفقه بابن أخي هشام، وكان الاعتماد عليه بالقيروان في الفتوى، والتدريس، بعد أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله، وسمع ابن مسرور الحجام، وألف كتاب المقصد، أربعين جزءاً، وكان يفتي في اللازمة بطلقة واحدة، وتوفي سنة (391هـ). قيل سنة (390هـ). ينظر: القاضي عياض، المصدر نفسه، ج6، ص263.

⁵ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد: اسمه عبد الرحمن، سكن القيروان، وكان إمام المالكية في وقته، وقدمتهم، وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله، وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية، وكتبه تشهد له بذلك، أخذ عن ابن اللباد وأبو الفضل المسمي وغيرهم، وسمع منه خلق كثير، له مؤلفات عديدة، توفي سنة (386هـ). ينظر: القاضي عياض، المصدر نفسه، ج6، ص، 215، 221.

⁶ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري، المعروف بابن القابسي، فقيه مالكي، سمع من رجال إفريقية أبي العباس الإيباني، وأبي الحسن بن مسرور الدباغ، وغيرهم، ورحل فحج، وسمع بمصر ومكة عن مجموعة من العلماء، وكان واسع الرواية عالماً بالحديث وعلله ورجاله، فقيهاً أصولياً متكلماً مؤلفاً مجيداً، وكان أعمى لا يرى شيئاً وهو مع ذلك من أصحاب الناس كتباً وأجودها ضبطاً وتقييداً، له عديد المؤلفات منها: المهذب في الفقه، وكتاب الاعتقادات، وغيرها، توفي بالقيروان سنة (403هـ). ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص، 99، 92.

الله، فقال لهم: أنا أمضي إليه، أبيع روحي من الله دونكم، لأنكم إن أتى عليكم، وقع على الإسلام وهن، ويقال إنه قال لعبد الله: لما دخل عليه جئتك عن قوم إيمانهم مثل الجبال، أقلهم يقيناً أنا".¹

فيحكي أن أبا عبد الله الشيعي قال له: يا أبا محمد، أنت شيخ المؤمنين، ومن يوثق بك، أدخل العهد، وخذ البيعة، فعطف عليه أبو محمد وقال له: شيخ له ستون سنة، يعرف حلال الله وحرامه، ويرد على اثنين وسبعين فرقة، يقال له هذا؟ لو نُشرت بين اثنين، ما فارقت مذهب مالك، فلم يعارضه، وقال لمن حوله: امضوا معه، فخرجوا ومعهم سيوف مصلتة، فمر بجماعة من الناس ممن أحضر، لأخذ الدعوة، فوقف عليهم فقال: تثبتوا ليس بينكم وبين الله إلا الإسلام، فإذا فارقتموه هلكتم، فترك عبد الله طلب بقية الشيوخ، بعد ذلك المجلس». ²

كما تناظر عبد الله الشيعي مع أبي عثمان سعيد بن محمد بن صبيح الغساني³، سيأتي التفصيل في هذه المناظرات في موضعها لاحقاً؛ وتكلم عنده يوماً فغضب من كلامه رجل من كتامة يعرف بأبي موسى شيخ المشايخ، وقام إليه بالرمح، فمنعه أبو عبد الله من ذلك، ثم عطف إلى أبي عثمان فقال له: يا شيخ لا تغضب، إذا غضب هذا الشيخ غضب لغضبه اثنا عشر ألف سيف.⁴

وإذا كان عبد الله الشيعي قد اعتمد على العقل والمناظرة في سبيل إثبات مذهبه، وكسب اعتراف علماء المالكية به، وتوطين الوجود الشيعي في القيروان وإفريقية، فإن أخاه أبا العباس اعتمد على الغلظة والقوة لنشر التشيع قسراً، وطرد فقهاء المالكية من القيروان، فمنعه أخاه الداعي قائلاً له: "إن دولتنا دولة حجة وبيان وليست دولة قهر واستطالة، فترك الناس على مذاهبهم".⁵

ولما خرج أبو عبد الله الشيعي إلى سجلماسة في طلب عبيد الله المهدي، استخلف أخاه أبا العباس، فأطلق يد القاضي محمد بن عمر المروزي⁶ فتصلب وتكبر، وكانت أيامه صعبة جداً، وأخاف أهل السنة وترك

¹ - القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص161.

² - نفسه، ج2، ص162.

³ - أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد: سمع من سحنون، كان فقيهاً صالحاً فصيحاً متعبداً، كان يرد على أهل البدع المخالفين للسنة، وأحد رجال زمانه في المناظرة والرد على الفرق، حتى ناب عن أهل القيروان في مناظراته للشيعية، له عدة مؤلفات منها: كتاب إيضاح المشكل، وكتاب المقالات، وكتاب الاستيعاب، وكتاب عصمة النبيين، وغيرها، توفي سنة (302هـ). ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص ص، 295-316.

⁴ - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص72.

⁵ - النويري شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ، ج28، ص99.

⁶ - عمر المروزي: هو محمد بن عمر المروزي من أهل القيروان، تشيع وولاه عبيد الله القضاء، وبتهمة الارتشاء عزله من منصبه وعذبه ثم قتله. ينظر: الحشني، طبقات علماء إفريقية، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993، ص239.

أكثرهم الصلاة في المساجد، وأخذ أموال الأقباس والحصون، وأخذ سلاح الحصون التي على البحر، وأمر الفقهاء أن لا يفتوا ولا يكتبوا وثيقة إلا من تشرق، وأن يزال من الحصون والمساجد اسم الذي بناها وأمر بها من السلاطين ويكتب اسم المهدي.¹

ومن جملة أعمال القاضي المروزي إصداره أمرا إلى فقهاء القيروان يقضي بمنع الفتوى بمذهب الإمام مالك وغيره، ولا يفتي أحد إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر الصادق²، ومن خالف هذه التعليمات أو اتهم بمخالفتها سلط عليه جام غضبه³، وزاد في الآذان "حي على خير العمل"، وترك الناس يصلون رمضان سنة واحدة ثم منعهم.⁴

فكان من الذين قتلهم أبو العباس الشيعي جراء التعذيب سنة(297هـ/909م) كل من الفقيهين ابن البرذون وابن هذيل⁵، إذ سلط عليهما الضرب بالسوط حتى لفظا آخر أنفاسهما، بل زيد عليهما فوق ذلك بأن طوف بهما سوق القيروان مربوطين إلى بغل مسحوبين على وجههما ليصلبا أخيرا⁶، لا لشيء إلا لتشبهتهما فيما ذهبا إليه من اعتقاد بشأن موقع مكانة علي بين الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، وأنه واحد منهم فلا ميزة له عليهم إجمالا لا تفصيلا⁷، فكان العالمين الفاضلين ابن البرذون، وابن هذيل من أوائل ضحايا الانتصار الشيعي العبيدي في إفريقية وبلاد المغرب.

¹ - المالكي: المصدر نفسه، ج2، ص55؛ طارق بن زاوي: مواقف علماء المالكية من الدولة الفاطمية الإسماعيلية الشيعية، مجلة كان، العدد 29، سبتمبر 2015م، ص20.

² - جعفر الصادق: يجب الإشارة إلى أن جعفر الصادق من علماء أهل السنة ولا علاقة له بالشيعية، توفي سنة (148هـ). ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص165.

³ - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص159. محمد الصالح مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص143.

⁴ - الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص291.

⁵ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي المعروف بابن البرذون: فقيه مالكي، سمع من رجال سحنون، ذا رواية وأدب وإدراك، وكان عالما منافحا عن مذهب الإمام مالك قوي الحجة والمناظرة، قتل على أيدي الشيعة سنة (299هـ)؛ ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص ص، 265، 261؛ القاضي عياض: المصدر السابق، ج5، ص 117-118.

⁶ - أبو بكر بن هذيل: عالم مالكي، سمع من رجال سحنون، كان فقيها زاهدا ورعا بارعا في العلم، قتله ابن أبي الخنزير - بأمر من عبد الله الشيعي - مع ابن برذون، وكان ذلك سنة (297هـ). ينظر: الدباغ، المصدر نفسه، ج2، ص ص، 266، 269.

⁷ - ابن عذارى: المصدر نفسه، ج1، ص ص، 154، 155.

⁷ - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص48. ابن عذارى: المصدر نفسه، ج1، ص155.

إذا كانت سياسة الداعي أبو عبد الله الشيعي قد تميزت بنوع من الليونة مع علماء المالكية، عكس أخيه أبو العباس الذي كان عجولاً متهوراً¹، يرى أن الدعوة يمكن أن تقوم بين عشية وضحاها²، فكيف ستكون سياسة غيره من حكام الدولة العبيدية مع فقهاء وعلماء المالكية بالقيروان؟.

2- سياسة حكام الدولة العبيدية مع المالكية في القيروان:

سنحاول في هذا المبحث التطرق إلى سياسة كل حاكم من حكام الدولة العبيدية، وخاصة السياسة المذهبية الدينية وموقفه من علماء المالكية بالقيروان.

2-1- سياسة عبيد الله المهدي (297-321هـ/910-934م):

كانت سياسة عبيد الله المهدي تهدف بالدرجة الأولى إلى إقامة صرح شيعي إسماعيلي تكون جذوره بمنطقة المغرب الإسلامي، في حين تمتد فروعه إلى المشرق والأندلس، أو على الأقل تكوين قاعدة متينة لهذا المذهب، فعمد إلى محاولة فرض مذهبه قصراً على سكان المغرب الإسلامي عامة، وعلماء المالكية خاصة، الذين استقروا بالقيروان، ولم يتخذ فيهم سبلاً للملايينتهم وكسبهم³.

لم تكد تستقر الأمور لعبيد الله المهدي، حتى قدم خطيباً يوم الجمعة بمسجد رقادة، وخطيباً آخر بجامع القيروان، وكتب بذلك إلى البلاد التي تحت حكمه، وأمر في الخطبة بعد الصلاة على محمد وعلى آله وعلى أمير المؤمنين "علي" وعلى فاطمة الزهراء "وعلى" الحسن والحسين⁴ قول الدعاء التالي: "اللهم صلّ على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك، عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه خلفائك الراشدين المهديين الذين كانوا يقضون بالحق و به يعدلون، اللهم وكما اصطفتيه لولايتك، واخترته لخلافتك، وجعلته لدينك عصمة عمادا، ولبريتك موثلاً وملاذاً، فأنصره على أعدائك المارقين، واشف به صدور المؤمنين، وافتح له مشارق الأرض ومغاربها، كما وعدته، وأيده على العصاة الظالمين، إله الخلق رب العالمين".⁵

¹ - القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 296.

² - فاطمة بالهوارى: الفاطميون وحركات المعارضة في المغرب الإسلامي، دار المسالك، الجزائر، 2011، ص 23.

³ - يمينة كباس: الدور السياسي والعلمي للفقهاء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي (296-361هـ/909-972م)، مذكرة ماجستير،

إشراف: د مصطفى مغزاوي. قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2015-2016، ص 236.

⁴ - فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ط1، دار الغرب، بيروت، 1994، ص 166.

⁵ - القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 178.

والملاحظ على هذا الدعاء أنه يحتوي على ألفاظ وعبارات فيها نوع من المبالغة، بلغت حد علم الغيب والتنبؤ به، بالإضافة إلى تورية وتخریح مقصود في حق أهل السنة، وهو ما رفضه فقهاء المالكية واعتبروه كفراً، فامتنعوا عن حضور خطب الجمعة وتأدية صلواتها.

وأول من نَبّه على ذلك الفقيه أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمان¹، عندما حضر أول خطبة لعبيد الله في جامع القيروان، جلس عند المنبر وسمع خطبته، فلما سمع ما لا يجوز سماعه، (وفي رواية: فلما سمع كفرهم) قام وكشف عن رأسه حتى رآه الناس، ومشى من المنبر إلى آخر باب في الجامع، والناس ينظرون إليه وهو يقول: قطعوها قطعهم الله، فمن حينئذ ترك العلماء حضور جمعهم.²

فهل سيغض المسكون بزمام الحكم وأصحاب الأمر والنهي في الدولة العبيدية الطرف عن صاحب هذا التصرف، والذي يعد محرضاً لأصحابه وأقرانه عليهم مستقبلاً، والمهين لهم أمام العامة، فضلاً عن تنقيص لهيبتهم عندهم؟³، لا بل كان رد فعلهم أن راحوا يرسلون صاحب المحرس ليتجسس عليه مراراً في مسجده الذي كان يصلي فيه⁴؛ ولعل الذي منعهم عن قتله هو خشيتهم من ثورة العامة القيروانية عليهم، نظراً لوزنه العلمي وخصوصاً العملي بين ظهرائهم، بدليل أن من كان مثله في العلم من أقرانه، وإن كانوا لا يشكلون خطورة عليهم مثل خطورته، فلقد صفوهم جسدياً وقتلوهم الواحد بعد الآخر، ولم يستثنوا منهم أحداً، حيث طفحت بتسجيل ذلك كتب السنة وسكتت عنه كتب الشيعة العبيديين، لأنه مما يتنافى والسلوك الحضاري للدول فضلاً عن تشويهه للسمعة⁵.

ومع دخول عبيد الله المهدي عاصمة الأغالبة رقادة، حتى أشار في خطاب تقلده الحكم إلى أن سياسته ستكون معتدلة، ولكنها صارمة، وأن رعايته ستشمل "أشباعه من المؤمنين، وأن سخطه وغضبه سيحل على كل

¹ - أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمان بن مسلمة الصديقي: فقيه مالكي، كان يسمع كلام العراقيين في البداية، ثم ترك ذلك وصحب سحنون وغيره من أئمة المالكية، كان من أهل الخير والزهد والعبادة، ومن أكثر الناس مجاهدة لعبيد الله وشيعته، توفي سنة (299هـ). ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص ص، 270،280؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص ص، 371،379؛ الخشني، المصدر السابق، ص23.

² - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص43؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص247.

³ - سيع قادة الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي أسسه، مجالاته، وانعكاسات، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ د بن معمر محمد، جامعة وهران، 2015، ص231.

⁴ - القاضي عياض: المصدر نفسه، ج1، ص516؛ الدباغ: المصدر نفسه، ج2، ص278.

⁵ - سيع قادة، المرجع نفسه، ص ص، 231، 232.

من نكث عليه وخان أمانته، ونقض عهده¹ وهو بذلك يقصد علماء أهل السنة وخاصة المالكية الذين شكّلوا المعارضة للمذهب الشيعي.

لم يكتف المهدي بممارسة سياسة الوعيد اتجاه علماء وفقهاء المالكية، بل تعدى ذلك إلى توجيه أتباعه لفرض المذهب الشيعي على أهالي القيروان، وأجبروهم على الدخول في دعوتهم، فمن أجاب تركوه، وربما ولوه بعض المناصب، ومن رفض قُتل، كما فعلوا عقب أول جمعة خطبها عبید الله بالقيروان²، ولما حضرت الجمعة جلس رجل يعرف بالشريف بعد الصلاة ومعه الدعاة، وأحضروا الناس بالعنف والشدة، ودعوهم إلى مذهبهم، فمن أجاب أحسن إليه، ومن أبي حبس أو قتل، فقتل خلق كثير ممن لم يوافقهم على قولهم ومذهبهم³.

كما بث عبید الله المهدي دعائه في الأرض وكانت طائفة تزعم أنه الخالق الرازق، وطائفة أخرى تزعم أنه نبي مرسل، وطائفة تزعم أنه المهدي حقيقة، وفي هذا يقول ابن عذارى: "لما دخل عبید الله المهدي القيروان، ادّعى أنه المهدي المنتظر، وأنه الإمام المعصوم..."⁴.

ويذكر الدمشقي أن الملقب بالمهدي لعنه الله، كان يتخذ الجهّال ويسلطهم على أهل الفضل، وكان يرسل إلى الفقهاء والعلماء فيدبجؤون في فرشهم، وأرسل إلى الرّوم وسلطهم على المسلمين، وأكثر من الجور واستصفاء الأموال وقتل الرجال، وكان له دعاة يضلون الناس على قدر طبقاتهم، فيقولون لبعضهم هو المهدي ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحقّة الله على خلقه، ويقولون لآخرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحقّة الله على خلقه، ويقولون لطائفة أخرى هو الله الخالق الرازق⁵، وغيرها من أعمال الشرك، فأفتى فقهاء المالكية بكفره ومحاربتة، كما سيأتي ذكره لاحقاً.

وجاهر بسبّ أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرين، وحكم بكفرهم وارتدادهم عن الإسلام، ولم يستثن إلا عليّاً وقليلاً ممن أيدوه وناصره⁶، ونصّب حسيناً السبّاب لعنه الله تعالى في الأسواق،

¹ - فرحات الدشاوي: المرجع السابق، ص 183. طقوش سهيل: المرجع السابق، ص 79.

² - فاطمة بالهوازي: تحديات وصمود علماء المالكية في بلاد المغرب خلال القرن 4/10م - أحداث وحشيات، مقال، قسم التاريخ، جامعة وهران، ص 3.

³ - ابن الأثير: المصدر السابق، ص 461. الكامل في التاريخ ج 6 ص 133.

⁴ - ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 158.

⁵ - أبو شامة الدمشقي: عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية المحقق: إبراهيم الزبيق، ط 1، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1418هـ / 1997م، ج 2، ص 218. بدر الدين بن قاضي شبهة، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمد زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، 1971م، ص ص، 204، 205.

⁶ - ابن عذارى: المصدر نفسه، ج 1، ص 158.

للسبّ بأسجاع لثقتها، يوصل منها إلى سبّ النبي صلى الله عليه وسلم، في ألفاظ حفظها، كقوله لعنه الله: «العنوا الغار وما وعى والكساء وما حوى وغير ذلك»، وعلقت رؤوس الأكباش والحمر على أبواب الحوانيت، عليها قراطيس معلقة، مكتوب فيها أسماء الصحابة رضي الله عنهم¹.

وقطع صلاة التراويح بعد أن ترك الناس يصلونها عاماً واحداً، وأبطل الآذان السني وأبدله بالآذان الشيعي، بزيادة "حي على خير العمل" في الآذان، ولقي عروس المؤذن² حتفه مقتولا بالرمح بأمر من عبید الله الشيعي سنة (307هـ/919م)، بعد أن قطع لسانه وطيف به في القيروان ولسانه بين عينيه، وذنبه أنه لم يقل في آذانه حي على خير العمل³.

وانتهكت حرمت المساجد في أيامه، فقد روي أن بعض أتباعه أدخلوا خيولهم المسجد، ولما قيل لهم: كيف تدخلون خيولكم المسجد؟، قالوا: إنّ أرواتها و أبوالها طاهرة لأئمتها خيل المهدي، فقال لهم القيم على المسجد: إنّ الذي يخرج من المهدي نجس، فكيف بالذي يخرج من خيله، فقالوا له: طعنت على المهدي، وأخذوه ثمّ قتلوه⁴.

كما حرموا على فقهاء المالكية بالقيروان الإفتاء بمذهب مالك وغيره، وفرضوا عليهم الإفتاء بمذهب زعموا أنه مذهب جعفر الصادق، واعتبروا من خالف هذه التعليمات أو اتهم بمخالفتها، جريمة يعاقب عليها بالضرب والسجن أو القتل أحياناً، ويعقب ذلك نوع من الإرهاب النفسي، حيث يدار بالمقتول في أسواق القيروان وينادي عليه: «هذا جزء من يذهب مذهب مالك»، ولم يبيحوا الفتوى إلا لمن كان على مذهبه⁵.

وفي سنة (311هـ/923م) امتحن الفقيه أبي محمد بن العباس بن الوليد المعروف بالهدلي⁶، عندما أمر القاضي النفطي⁷ الشيعي بضربه عريانا حتى سال الدم من رأسه، ثمّ أركب على حمار عريانا وطيف به في أسواق

1- القاضي عياض: المصدر السابق، ج3، ص318.

2- عروس المؤذن: رجلا صالحا متعبدا، كان يؤذن بمسجد أبي عياش الفقيه صاحب سحنون، كان زاهدا يطحن بيده ويعيش من عمل الخلفاء، قتل سنة (307هـ) رحمه الله. ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص152؛ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص5.

3- المالكي: المصدر نفسه، ج2، ص152، محمد الصالح مرمول: المرجع السابق، ص146.

4- القاضي عياض، المصدر السابق، ج5، ص303؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص284.

5- ابن عذارى: المصدر نفسه، ج1، ص159. محمد الصالح مرمول: المرجع السابق، ص143.

6- هو أبو محمد بن العباس بن الوليد المعروف بالهدلي: فقيه مالكي، عالما وحافظا للمسائل، سمع من محمد ابن سحنون وغيره، ضربه القاضي النفطي الشيعي بسبب إفتائه بمذهب مالك، وذلك سنة (311هـ)، توفي سنة (329هـ). ينظر: المالكي، المصدر نفسه، ج2، ص265.

7- القاضي النفطي: هو محمد ابن إبراهيم بن عمران النفطي، فقيه شيعي، تولى القضاء للمهدي على طرابلس، ثم نقله سنة 311هـ إلى قضاء القيروان، فقام قاضيا نحو السنة، ثم توفي سنة (312هـ). ينظر: المالكي، المصدر نفسه، ج2، ص265.

القيروان، ثم حبس وترك بعد ذلك، وحدث له هذا بعد وشاية مفادها أنه يفتي بمذهب المالكية ويطعن على المهدي.¹

ومنعوا علماء المالكية من التدريس في المساجد، و نشر العلم والاجتماع بالطلاب فكانت كتبهم لا تقرأ إلا في البيوت خوفا من بني عبيد²، لأنهم وحرصا منهم - أي العبيديين - على أمن دولتهم وخوفا من الثورة والخروج عليهم، جعلوا بوقا يضربونه في أول الليل، فمن وجد بعد ذلك خارج داره ضرب عنقه، كما كانوا يفرقون الناس الذين يجتمعون على جنازة من مات من العلماء.³

كما أدخل المهدي تغييرات في العقيدة وتشدد في تطبيقها، حتى انحازت عن تعاليم الإسلام، كإسقاط الرجم عن المحصنين في الزنا، وإسقاط المسح على الخفين، والصوم بالعلامة والفطر بها لا برؤية الهلال⁴، و تحليل المطلقة ثلاثا، إلى غير ذلك من المستحدثات⁵، وهو ما أنكر تقبله فقهاء المالكية، واعتبروا الإسماعيلية فرقة ضالة من الكفار تجب محاربتهم لما يمكن أن يحدثوه من فساد في عقائد المسلمين.

بنفس هذا المسلك وبقسوة أشد تعامل ابن أبي خنزير⁶ بأمر من المروزي قاضي الدولة الشيعية مع الشيخ العالم ابن خيرون⁷ سنة (301هـ/913م): حين "أمر به فأدخل إلى مجلس وبطح على ظهره، وطلع السودان فوق سرير فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات"، وإن لم يكتف معه بهذا، بل "وحملوه (بعد قتله) على بغل وألقوه على حفير، ونهب ابن أبي خنزير ماله، وأخذوا مولدة كانت له وجعلها مع خدمه"، وذلك لجهاده على دين الله وبغضه لبني عبيد.⁸

1- المالكي: المصدر السابق، ج2، ص265.

2- الدباغ، المصدر السابق، ج 03، ص26.

3- المالكي، المصدر نفسه، ج02، ص 56.

4- حيث قتل من أفتي بأن لا فطر إلا مع رؤية الهلال، كما فعل مع الفقيه محمد بن الجبلي قاضي برقة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 15، ص374؛ محمد علي الصلابي، الدولة الفاطمية، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2006. ص ص، 74، 75.

5- بعد مثل هذه المستحدثات في الدين عبّر رجل من رجال السنة عن استيائه للقاضي المروزي في المسجد، والناس يحيطون به قائلا: "لقد احتلت لنا في ترك قيام رمضان، فلو احتلت لنا في ترك صيامه لكفيتنا مؤنثته" ينظر: ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق، التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ص 27؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص، 159.

6- ابن أبي خنزير: هو عامل عبيد الله المهدي على القيروان. انظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص54.

7- هو أبو جعفر محمد بن خيرون الأندلسي القرطبي، أحد شيوخ مدينة القيروان، كان فقيها صالحا من خيار المسلمين وكان سبب قتله أنه سعى به قاضي الشيعة المروزي إلى عبيد الله المهدي الذي أمر بقتله سنة 301هـ؛ ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص ص، 289، 288.

8- نفسه، ج2، ص160؛ المالكي، المصدر السابق، ج2، ص54.

أما العالم الفقيه جبلة بن محمود الصدي، فقد ناله هو الآخر نصيب من العذاب لأنه سار في ركاب المعضوب عليهم في نظر السلطة الشيعية، فقد كان يرفض تنفيذ أوامر القاضي الخاصة بتعاليم الأذان والصلاة، كما رفض أيضا ما سمعه في خطبة الجمعة بجامع القيروان، من سب الصحابة وتفضيل آل البيت، حيث خرج وهو يصيح قائلا: "قطعوها قطعهم الله".¹

كما أصدر عبيد الله المهدي أوامر لقضاته بإنزال أشد أنواع العقوبات في حق كل من يتعرض بالطعن في سلطته، أو يقوم بالتحريض عليها²، وقد استجاب قضاته لهذا الأمر سريعا، فمن القضاة الذين كانت لهم اليد العليا في تطبيق أمره والتنكيل بفقهاء وعلماء المالكية نجد: إسحاق بن أبي منهال³، حيث يذكر صاحب كتاب الخن أنه كان سببا في حبس وضرب كل من الفقيه: أحمد بن نصر⁴ حبسه وحدده، وأبي بكر بن اللباد⁵، ومحمد بن محمد، وحبس أحمد بن زياد⁶ أيضا، والقاضي محمد بن عمر المروذي، والذي طالت يده هو الآخر كل من الفقيه موسى بن عبد الرحمان القطان⁷، ومحمد بن خالد الطيوري، الذي ضربه بالذرة بطحا وحبسه، وكذلك هو الأمر بالنسبة للفقيه إسحاق بن إبراهيم بن طريفة.⁸

¹ - يمينة كباس: المرجع السابق، ص 240.

² - رفيق بوراس: الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296-362هـ / 908-972م) مذكرة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة (2007-2008م) ص 23.

³ - إسحاق بن أبي منهال: قاضي شيعي، تولى قضاء القيروان بعد وفاة القاضي محمد بن محفوظ القمودي، وذلك سنة 307هـ بأمر من عبيد الله ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 182؛ أبو العرب: المصدر السابق، ص 230.

⁴ - أحمد بن نصر الهواري: كان عالما حاذقا بالمناظرة، فقيها بارزا، كثير الحفظ، امتحن سنة (308هـ) على يد إسحاق بن أبي المنهال، وسجن تسعة أشهر بسبب اجتماع الناس إليه وفتواه بمذهب مالك، ثم لزم بيته إلى أن توفي سنة (317هـ)، ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج 5، ص 93، 97.

⁵ - أبو بكر بن اللباد: كان فقيها صالحا عالما في مذهب مالك، سمع من يحيى بن عمر، وسعيد بن الحداد، وغيرهم، وتفقه على يديه ابن أبي زيد، ألف كتاب الطهارة، وكتاب إثبات الحجة، وكتاب فضائل الإمام مالك، وغيرها، اتفقت عليه محنة من قبل أشياخ بني عبيد، وسجن أياما ثم أطلق ومنع الفتوى واجتماع الطلبة عليه حتى توفي سنة (333هـ). ينظر: أبو زيد الدباغ، المصدر السابق، ج 3، ص 21، 26.

⁶ - أحمد بن زياد: هو أبو جعفر أحمد بن أحمد بن زياد، صحب محمد بن عبدوس، وسمع من محمد بن يحيى بن سلام، ألف عدة كتب في أحكام القرآن وغيره من العلوم، كان بليغا بصيرا باللغة، قوي العارضة في المناظرة. أنظر: الحشني: المصدر نفسه، ص 167؛ أبو العرب: كتاب الخن، ص 363.

⁷ - موسى بن عبد الرحمان القطان: كان فقيها حافظا بارع الحفظ ثبتا صالحا، سمع من محمد بن سحنون وأبي العرب وغيرهما، توفي رحمه الله سنة (306هـ) وعمره 71 عاما. ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج 2، ص 335، 339.

⁸ - أبو العرب، كتاب الخن، ص 363.

ومن الذين طاهم سخط المهدي، الفقيه محمد بن عبد الله السدري¹، المجاهر بعداوة الشيعة المبايع على جهادهم، فقد أرسل عبيد الله الشيعي من يأتيه به إليه، و لما أوقف بين يديه قال له عبيد الله: أنت الشاتم لنا الذائر عنا أنا أحدثنا في الإسلام الحوادث، فقال له: نعم أنا القائل بذلك، فقال له: وما الذي رأيته منّا؟، فأخبره بكلّ ما يعتقد في الدين والإسلام وكلّ ما أحدث فيهما، فقال حينئذ عبيد الله لأوليائه: اضربوا عنقه، فقتل رحمه الله سنة (309هـ/921م)²، كما لم يسلم من العقوبة أيضا العابد الفقيه أبو القاسم بن المفرج³ الذي كان له علم بالوثائق، فقد أتهم بالتشكيك في النسب العبيدي⁴.

كانت تلك بعض ما طبقه عبيد الله المهدي ودعاته، من تضيق وامتحان لفقهاء وعلماء المالكية بالقيروان، ويبدو أن ما لحق بعلماء المالكية من أذى وقتل وتعذيب وسجن، كان أكثر من غيرهم من علماء باقي المذاهب، كونهم يمثلون أكبر قاعدة شعبية بالقيروان ومعظمهم قاطنين بها.

كما أنهم كانوا يسعون إلى إفناء كل مذهب مخالف للمذهب الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب الإسلامي، ليخلو لهم المجال بوسعه لنشر مذهبهم وتصديره إلى كل ربوع المنطقة وأقاليمها ولما لا خارجها أيضا، وإذا كانت سياسة المهدي مع المالكية قد تميزت بالعنف والشدة، فكيف ستكون سياسة بنيه من بعده؟

2-2- سياسة القائم بأمر الله (322-334هـ/934-945م):

لما هلك المهدي قام ابنه المسمى بالقائم⁵ مقامه، وزاد شرّه على شرّ أبيه أضعافا مضاعفة⁶، حيث أن ما سبق ذكره من محن وتضييق عانى منه فقهاء المالكية في عهد عبيد الله المهدي، زادت حدة وشدة في عهد خليفته القائم بأمر الله الشيعي، ذلك أن هذا الأخير وبعد اعتلائه كرسي العرش لم يتردد في معاقبة مخالفه في المذهب⁷، على جرم انتسابهم لغير معتقده، فرأى أن القضاء عليهم جهاد، والخروج عليه خطيئة لا تغتفر، ظنا

¹ - هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله السدري: كان من العباد الزهاد البدلاء المرادين العاملين كثير الحج والأسفار والتغرب عن الأوطان، بايع أصحابه على جهاد بني عبيد وقبائل أهل إفريقية، قتل سنة 309هـ برملة المهديّة. ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص166.

² - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص170.

³ - أبو القاسم بن المفرج: هناك اختلاف في اسمه بين الخشني والمالكي والقاضي عياض الذي قال عنه أنه كان ذا عناية بالعلم وبصير بالوثائق، قتله عبيد الله ضربا بالرمح ثم صلبه سنة (309هـ). ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص165، ص166.

⁴ - نفسه، ج2، ص165-166.

⁵ - القائم: أبو القاسم بن عبيد الله، ثاني الخلفاء العبيديين، ولد بسلمية من بلاد الشام سنة (280هـ)، ببيع يوم مات أبوه سنة (322هـ)، خرج في أيامه أبو يزيد الخارجي، و مات وهو محارب له سنة (334هـ). ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج6، ص64. ابن حماد، المصدر السابق، ص170.

⁶ - دمشق: المصدر السابق، ج2، ص219، ص218.

⁷ - سنوسي يوسف إبراهيم: زناة والخلافة الفاطمية، ط1، ملتزم للطباعة، جامعة عين شمس، مصر، 1986، ص191.

منه أن هذا الأسلوب سيكفل له سلطانه السياسي، مستخدماً كل وسائل التعذيب والإكراه، وكانت نتيجة ذلك وخيمة وعكسية الآثار، إذ انتشرت الحركات الثورية المقاومة لسياسته، وأضحى عهده عهد معارك ومطاردة للمخالفين¹، فظهر موقف المالكية واضحاً من سياسة القائم، معلنين عنها بمساندة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي² والمشاركة في ثورته- كما سيأتي الحديث عنه في موضعه- معبرين عن سخطهم ونفورهم من المد الشيوعي في بلاد المغرب بشكل عام، ومن سياسة حكام الدولة العبيدية بشكل خاص.³

وتذكر المصادر التاريخية أن الحركات الثورية التي عجز بها عهد القائم بأمر الله، ليس مردّها إلى تشدده في نشر دعوته وجِدُّه في فرض مذهبه فحسب، بل تداخلت عوامل أخرى أهمها سياسته المالية-الاقتصادية-التعسفية التي كان لها دور كبير في ظهور الشعب ضده، وزيادة الخلاف بينه وبين معارضيه⁴.

ويذكر كل من القاضي عياض وابن عذارى أن الخليفة القائم أمر بتكذيب وحرق كتاب الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته رضي الله عنهم، كما أظهر هذا الخليفة سب الأنبياء عليهم السلام، وأمر في سنة(331هـ) بتعليق عظام رؤوس أكباش وحمير وغيرها على أبواب الحوانيت عليها قرطيس مكتوب فيها أسماء الصحابة، فاشتد الأمر على أهل السنة، فمن تكلم أو تحرك قتل، ومثّل به، وذلك في أيام الثالث من بني عبيد لعنه الله تعالى، سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.⁵

ويمكن القول أن شدة سياسة القائم بأمر الله مع المالكية تعزى إلى طبيعته العسكرية أولاً، وإلى سياسته الاقتصادية التي فرضها على الرعية، التي كانت عاملاً آخر يعزز أسباب الخروج عليه، كما لا يفوتنا أن ننوه بالدور الذي قام به دعائه من استغلال لمراكزهم الهامة في دولته، للاستخفاف بالشرعية مما زاد في نفور أهل المغرب عامة، والمالكية خاصة من حكم هذا الخليفة.⁶

¹ - القاضي النعمان: المصدر السابق، ص331؛ فاطمة بالهوارى، المرجع السابق، ص42.

² - أبو يزيد مخلد بن كيداد: زعم أنه سني وكان يتحلى بنسك عظيم، ويلبس جبة من الصوف قصيرة الكمين ويركب حملاً فلقب بصاحب الحمار، وكان يظن رأي الصفرية و يتمازج بمذهب الخوارج، استنفر الناس لقتال بني عبيد، وكان قد سيطر على معظم البلاد، لكنه أخزم وقتل في أيام إسماعيل المنصور بالله. ينظر: إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص ص، 339، 340.

³ - فاطمة بالهوارى، المرجع السابق، ص43.

⁴ - نفسه، ص43.

⁵ - القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص29؛ ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص158.

⁶ - فاطمة بالهوارى: المرجع السابق، ص ص، 45، 46؛ يمينة كباس: المرجع السابق، ص253.

2-3- سياسة إسماعيل المنصور بالله (334-345هـ/945-956م):

لما ظفر المنصور¹ بأبي يزيد نخض إلى القيروان فدخلها وأنزل بأهلها الولايات فقتل عددا لا يحصى منهم²، غير أنه حين خاف عاقبة أمره وتوقع قيام ثورة مالكية جديدة ضده، سلك سياسة التودد والتقرب لأهل السنة عامة فأظهر تعظيما لهم، كما أمنهم على أرواحهم وأموالهم، وبرهن لهم على حسن نواياه نحوهم، بأن أقسم لهم أنه سوف لا ينهج سيرة سلفه، وأنه سوف لا يتعرض لمذاهبهم³.

ويذكر بعض المؤرخين أن المنصور أوفى لأهل السنة بما وعد، فعدل فيهم وتركهم على مذاهبهم، وأخذ غُلاة دعائه فحلق لحاهم ونفاهم، وقال لأهل القيروان: "من سمعتموه ينال (وفي رواية يسب) من أصحاب رسول- الله صلى الله عليه وسلم- فاقتلوه فيني معكم، ومن ورائكم، و ترك الناس على حرية في مذاهبهم"⁴، وهذا النوع من التنكيل ببعض غلاة الشيعة كان الهدف منه كسب ود أهل السنة عامة وفقهاء المالكية خاصة، كما أطلق المحدثين في الحديث، والناس في إقامة التراويح، وأظهر تعظيما للشريعة، وعفا وصفح عن من أشهر الحرب ضد الحكم العبيدي، وكل ذلك بتحفظ شديد، كما عين عدد من علماء المالكية في مناصب إدارية مهمة في دولته، على الرغم من أنهم كانوا يأتون أحيانا بما يخالف الدولة ومذهبها في حل المسائل الفقهية⁵.

كما عمل المنصور على ملاينة المالكية بأن أقر أبا أحمد بن أبي الوليد⁶ على مظالم القيروان، كما عهد بقضاء القيروان إلى محمد بن عبد الله بن حسن الأنصاري⁷ وحتى يسكن الناس و يأمن جانب الثائرين عمد إلى

¹ المنصور بالله : إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله ، ثالث الخلفاء العبيديين في بلاد المغرب و إفريقيا ، ولد بمدينة المهديّة سنة 299هـ و قيل سنة 302هـ ، و ولي بعد وفاة أبيه القائم بأمر الله سنة 334هـ ، حارب أبا يزيد مخلد بن كيداد وكسر شوكته، بني مدينة المنصورية، و توفي سنة 341هـ . ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج15، صص، 156، 158؛ ابن حماد ، المصدر السابق، ص 176 .

² ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص220.

³ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 171؛ ابن خلدون: العبر، ج 4، ص 168.

⁴ فاطمة بالهوارى : الفاطميون وحركات المعارضة، ص47.

⁵ نفسه: ص48.

⁶ أبو أحمد بن أبي الوليد: كان خطيبا بليغا ورجلا صالحا عدلا في أحكامه، تولى الصلاة والخطبة بالجامع الأعظم بالقيروان، لا تأخذه في الله لومة لائم، عينه المنصور على المظالم بعد اختياره من قبل أهل القيروان، توفي سنة (345هـ) ؛ ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص61.

⁷ محمد بن عبد الله بن حسن الأنصاري: المعروف بابن منظور، أصله من الأندلس، رحل إلى المشرق وسمع عن مجموعة من العلماء، ثم استقر بالقيروان، وسمع عنه ابن التبان وابن نظيف وغيرهم، كان عالما مالكيًا ثقة فاضلا صالحا، له قبول عند الناس وعدالة ظاهرة، أجره الحاكم العبيدي المنصور على قضاء القيروان، توفي وهو على ذلك سنة(337هـ) ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ص ص، 46، 47؛ القاضي عياض: المصدر السابق، ج5، ص329.

إلغاء كل الضرائب غير الشرعية، كما أسقط عليهم ما في السنة الآتية، وهي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة من العشر والصدقات وجميع اللوازم".¹

لكن المؤرخ ابن النديم في كتابه "الفهرست" أتى بخلاف ما أوردناه سابقا من تحول في سياسة الخليفة المنصور، وملايئته لأهل السنة، فقال: "إن المنصور ابتعد عن مُمَالاة أهل السنة، ففي سنة (340م/951م)، عم الاستخفاف بالشرعية، و نكّل ببعض علماء المالكية بتهمة عدم الالتزام بالعقيدة الإسماعيلية"² ويدعم رأيه هذا ابن عذارى بإيراده أخباراً فريدة لم يذكرها غيره من المؤرخين، وذلك أن المنصور حين أخذ ثورة أبي يزيد دخل القيروان وذلك في سنة (336هـ/957م)، قتل من أهلها خلقا كثيرا وعذب آخرين" ولم يزالوا معه في الامتحان إلى أن هلك³ " ويبرر ذلك بأن المنصور فعل ذلك من باب الانتقام ظنا منه أنهم على مذهب أبي يزيد وأعوانا له في ثورته، كما أنه لم يقتصر في العقاب على فئة دون أخرى، بل إنها الحرب والحساب فيها شامل دون أن تحدد النوايا.⁴

وكان لرجال الخليفة المنصور دور في إذكاء نار التوتر بين السلطة الشيعية الإسماعيلية والرعية من أهل السنة، فقد رفع بعض رجال الدولة إلى المنصور أن ابن أبي المهزول، وهو من شيوخ أبي إسحاق السبائي⁵، لا يقرأ البسملة في صلاته ولا يقول المؤذن عند الآذان "حي على خير العمل"، فكتب إلى عامل القيروان ليأمرها بالرجوع عن ذلك فلم يفعل، وراجعهما غير مرة فلم يرجعا، فبعث إليهما من يشهد فعلهما، فأتى كتاب المنصور إلى عامله بقتلهما، ولكن الموت كان أسبق من إليهما منه ودفن أحدهما بعد الآخر.⁶

تركت هذه الواقعة أثرا مريرا عند المالكية، فأدركوا شدة المنصور اتجاههم، حتى امتنع الحسن بن نصر من أن يلي له قضاء سوسة حين عرضه عليه سنة (341م/952م)، فمال المنصور إلى تعيين الشافعية في هذا المنصب، وازدادت الجفوة في العلاقات بين المالكية والإسماعيلية⁷، ولعل تعيين الشافعية بدل المالكية في المناصب

¹ - يمينة كباس : المرجع السابق، ص255.

² - نقلا عن فاطمة بالهوارى : المرجع السابق، ص295.

³ - ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص220.

⁴ - فاطمة بالهوارى: المرجع نفسه، ص49.

⁵ - أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي الزاهد: سمع من أحمد بن نصر ومن غيره، رجلا صالحا ورعا زاهدا كان من أهل القيروان مبينا لأهل البدع شديد الغلظة عليهم ، وكان معاديا لبني عبيد ولا يلقاهم إلا متسلح توفي سنة(356هـ)، ينظر: الديباغ،المصدر السابق، ج3، ص ص، 63، 73.

⁶ - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص179.

⁷ - فاطمة بالهوارى، الفاطميون وحركات المعارضة، ص296.

المهمة وعلى رأسها خطة القضاء، كان من أبرز سمات التذبذب والتوتر في العلاقة بين الطرفين بعدما كفلت الخلافة كل سبل تهدئتها، وإبقاء المهادنة معهم أطول مدة ممكنة.¹

وقد تشدد العبيديون في سياستهم مع المالكية بين الفترة والأخرى زمن المنصور بالله، فعذب وقتل كل مخالف لأوامره²، ومنهم قاضي بركة أبو عبد الله محمد بن إسحاق الجبلي³ (ت 341هـ)، الذي وجهت له تهمة مخالفة قرار الخليفة المنصور، حيث أمره هذا الأخير بأن يعلن أن اليوم الموالي سيكون يوم عيد الفطر، وهذا قبل انقضاء عدة شهر رمضان، وقبل ثبوت رؤية هلال العيد، فكانت نتيجة رفضه القرار أن نصبت له سارية وعلق من يديه إليها في الشمس، فأقام كذلك يومه وليلته حتى مات من العطش، ثم صلب بالقيروان على باب أبي الربيع⁴، فلعنة الله على الظالمين.

وهكذا فقد روعت سطوة المنصور بالجبلي المالكي، وأدت إلى انفصام ما اتصل من ودّ مصطنع كان بين العبيدين الشيعة والمالكية، وكان من أثر ذلك أن خلد أغلب فقهاء المالكية من جديد إلى السكون داخل بيوتهم، وتواروا عن أعين العبيديين فكانوا لا يبارحونها إلا للضرورة، وتجنباً لأي صدامات مع عمال الخليفة المنصور.⁵

وخلاصة القول أن فترة حكم الخليفة المنصور بالله التزم فيها فقهاء المالكية بالحذر الشديد⁶، مخافة أن ينقلب المنصور عليهم فيعيد فيهم تاريخ أسلافه، لذا لم يُسلّموا بالأمان والثقة التامة في سياسته ومواقفه اتجاههم، ذلك أنه كان متذبذب القرارات تجاههم حسب ما اقتضته الظروف السياسية، فبين أن يترك لهم حرية المذهب والعقيدة وممارستها على نحو ما كانوا عليه قبل تأسيس الدولة العبيدية، و بين أن يقهرهم ويفرض عليهم مذهب دولته، تأرجحت سياسته المذهبية، فكان يؤثر في نفسه فرض مذهبه ليوسع انتشاره ويضمن طائفة تلك القوة البشرية الهائلة، التي كان يمثلها المالكية إذا تحالفوا مع الخوارج، ولكنه كان يميل إلى زاوية الاستقرار والتفرغ لتحقيق أمور أخرى هي من أولويات الدولة، وسد أي باب للتمرد قد يفتحه هؤلاء، ويكون في جعبته ربما بذور فناء

¹ - يمينة كباس : المرجع السابق، ص 256.

² - نفسه، ص 257.

³ - أبو عبد الله محمد بن إسحاق الجبلي: كان فقيها صالحا فاضلا، عالما حسن الأخلاق، ولي قضاء بركة زمن المنصور، وامتنح على يد عاملها الشيعي ابن الكافي، وعذب إلى أن توفي سنة (341هـ)؛ ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج 3، ص 49.

⁴ - الدباغ: المصدر السابق، ج 3، ص 49؛ القاضي عياض: المصدر السابق، ج 2، ص 96؛ خالد كبير علال: التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، دار المحتسب، الجزائر، 2008، ص 39.

⁵ - فاطمة بالهوارى: الفاطميون وحركات المعارضة، ص 297.

⁶ - نفسه، ص 297.

هذه الدولة، خاصة بعدما خبر ما يمكن للعامل المذهبي أن يحرك فيهم، وما هم قادرون على فعله بما لهم من مكانة وقاعدة شعبية لم يتكون لدولته مثلها، قوةً وعدداً، وولاءً مذهبياً¹.

2-4- سياسة المعز لدين الله (345-361هـ/956-972م):

حين تولى المعز لدين الله² الحكم، سلك سياسة التودد والتقرب إلى المذاهب المختلفة عامة والمالكية خاصة، حيث صرّف أمور الدعوة في أول عهده تصريحاً لئناً، لحرصه الشديد على عدم إثارة حفيظة أهل السنة عامة والمالكية خاصة، بالاجتماع والفتيا والتعليم وكتابة الوثائق على مذاهبهم³، وتساهل معهم كثيراً في هذا المجال الفكري حتى انتعشوا في عهده إنعاشاً كثيراً⁴، ورغم الحرية المذهبية والدينية التي تمتع بها السنيون عامة في عهد المعز، إلا أن فقهاء المالكية قابلوا ذلك بالثاقل، فوقفوا موقفاً حذراً من هذه السياسة⁵، غير أن أخبارهم كانت ترد إلى المعز على غير ما يشتهي فئمهلم ولا يُهملمهم ويصلهم ولا يقطعهم، ويتلطفهم، ولا يتجهمهم⁶. وهكذا صمد علماء المالكية للبلاد، وتحصنوا بمالكيتهم، وجعلوا مذهبهم قوام أمرهم وعنوان قوتهم، وذكرت المصادر التاريخية أنه كان يؤذن بأذان أهل السنة، ولا تذكر عبارة الشيعة "حي على خير العمل" في عهد المعز، نظراً لطبيعة العلاقات المذهبية بين المالكية والإسماعيلية على أيامه⁷.

ومن خلال ما تقدم ذكره، يبدو لنا جلياً أن المعز لدين الله الشيعي تأكد أن أسلوب القهر الذي نهجه سابقه لم يجد نفعاً مع المالكية، فانتهج معهم سياسة المداجنة والتلطف، غير أن سياسته هذه ظلت موضع ريبة وحذر، وبالتالي عجزت أمام صمود موقف المالكية الذي كان يشكل خطراً حقيقياً على حكمه في بلاد المغرب، الأمر الذي دفع بعض الدراسات الحديثة إلى القول بأن نجاح المالكية وتصلبها كان سبباً في انتقال المعز إلى ديار مصر⁸.

¹ - يمينة كباس: المرجع السابق، ص 257.

² - المعز لدين الله: هو أبو تميم ولد بالمهدية في سنة (319هـ/931م) وعهد له والده بالخلافة بعده، وجلس على سرير الملك في ذي الحجة من سنة 345هـ وهو الخليفة العبيدي الرابع الذي حكم الشمال الإفريقي. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 15، ص 159؛ محمد علي الصلابي: المرجع السابق، ص 66.

³ - ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام: القسم الثالث، نشر بعنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب: الدار البيضاء، 1964، أعمال الأعلام، ج 3، ص 55.

⁴ - ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 221، 229؛ الدمشقي: المصدر السابق، ج 1، ص 153.

⁵ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 65-84.

⁶ - يمينة كباس: المرجع نفسه، ص 258.

⁷ - فاطمة بلهوارى: المرجع السابق، ص 299.

⁸ - نفسه، ص 300.

وهذا لم يمنع أتباع المعز لدين الله من التضييق على علماء المالكية فكريا ومذهبيا لتحويلهم عن مذهبهم، ومن مظاهره التعدي على التراث السني المعنوي والمادي¹، إتلاف مصنفات علماء المالكية ومصادرتها، ومنع الناس من تداولها، حيث رفع كثير منها إلى الخليفة المعز لدين الله، كيدا للإسلام وبغضا فيه.²

ولابد من الإشارة إلى أن المعز لدين الله قد تأله فعلا وادعى الربوبية علانية، واتصاف حكام الدولة العبيدية بهذه البدع والخوارق، إنما هو ناتج عن تأثرهم بالفلسفة الإغريقية، وغدى مذهب العبيديين خليطا من الدين والفلسفة³، فهناك رواية مفادها أن المعز لدين الله أمر المؤذن أن يقول: " أشهد أن لا إله إلا الله وأن معدا (يقصد المعز) رسول الله "، وبلغ الأمر أن شاعره ابن هاني الأندلسي⁴ قال فيه:

وعلمت من مكنون سر الله ما	لم يؤت في الملكوت ميكائلا
لو كنت آونة مبشر أمة	نشرت لمبعثك القرون الأولى
لو كنت نوحا منذرا من قومه	ما زادهم بدعائه تضليلا
الله فيك خفية لو أعلمت	أحيا بذكرك قاتل مقتولا
لو كان آتي الخلق ما أوتيته	لم يخلق التشبيه و التمثيلا ⁵

إن هذه الأعمال التي قام به الشيعة، اعتبرت تعديا واضحا وجريمة في حق كل ما كان يراه أهل السنة في بلاد الغرب الإسلامي مقدسا، فأهل السنة عامة والمالكية خاصة يرفضون رفضا تاما سب الصحابة رضوان الله عليهم، وانتهاك الحرمات كما يرفضون أيضا تأليه وتقديس الأشخاص وإنزالهم فوق منزلتهم.

إن السياسة التي اتبعها العبيديون مع علماء وفقهاء المالكية، لم تقتصر على التهيب فقط، بل تجاوزتها إلى الترغيب أيضا، مستغلين ضعفهم وحاجتهم، ولقد نجحت سياسة التطويع مع الفقهاء الأحناف، الذين نالوا حظوة عند الخلفاء العبيديين، واحتكروا الخطط الدينية، وهذا بعد أن أخذوا بمذهب الدولة خدمة لأغراض

¹ - موسى لقبال، المرجع السابق، ص ص، 328، 329.

² - الصلاحي، المرجع السابق، ص 72.

³ - بوسته نسبية وآخرون: الصراع المذهبي في المغرب خلال القرنين 3 و4 هـ /9-10م، مذكرة ماستر، إشراف: أ حروز عبد الغني، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015، ص 64.

⁴ - ابن هاني الأندلسي: هو أبو الحسن محمد بن هاني الأزدي المهلبي الأندلسي، ولد بإشبيلية وكان ذا حظوة عند صاحبها كان حافظا لأشعار العرب وأيامها، اتصل بالمعز الفاطمي وأصبح شاعره الخاص توفي سنة 362هـ؛ ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج16، ص ص، 131، 132.

⁵ - ابن الخطيب: المصدر السابق، ص55، 56.

خاصة، والأمر أيضا ينطبق على بعض عناصر السنة المالكية، الذي اضطر بعضهم للتشجيع بدافع الفقر والحاجة،
أو حرصا على كسب امتياز خاص، أو وظيفة عند الدولة.¹

¹ - موسى لقبال : المرجع السابق، ص114.

الفصل الثاني

مواقف المالكية من العبيدين بالقيروان

1- المقاومة المالكية السلمية:

1-1- المقاومة السلمية الإيجابية:

أ- الإفتاء بكفر وضلال العبيدين.

ب- المجاهرة بعقيدتهم.

ج- مقاطعة بني عبيد وكل مُتعاطف معهم.

د- التدريس.

هـ- المناظرات والمساجلات.

و- المقاومة عبر التأليف.

1-2- المقاومة السلمية السلبية:

أ- العلماء المنكرين الفارين.

ب- العلماء الخائنين المتعاطفين مع بني عبيد.

2- المقاومة المالكية المسلحة:

1-2- الفقهاء الذين حرضوا على قتال العبيدين.

2-2- التحالف مع ثورة أبي يزيد الخارجي.

3- القضاء على الوجود الشيعي نهائيا بالمغرب الإسلامي

لقد كرس العبيديون جهودهم طيلة وجودهم بالمغرب لإماتة السنة مستعملين في ذلك أحسن الوسائل، فكان علماء أهل السنة وخاصة المالكية لهم بالمرصاد، وقد شعر العبيديون بالقلق من العلماء والفقهاء الذين صمدوا في وجههم، فراحوا يقومون بأعمال منكرة لنشر أباطيلهم، الأمر الذي جعل علماء المالكية يتخذون موقفاً جهادياً ضدهم، وسلكوا عدة أساليب منها الإفتاء بتكفير الشيعة ومقاطعتهم، والخروج المسلح عليهم، وعدة وسائل أخرى، فما هي وسائل مقاومة علماء المالكية للشيعة الإسماعيلية؟ وما هو موقفهم من جرائم بني عبيد؟

1-المقاومة المالكية السلمية:

يمكن تقسيم مقاومة علماء المالكية بالقيروان للدولة العبيدية الشيعية إلى نوعين: مقاومة سلمية، ومقاومة مسلحة، أما المقاومة السلمية فانقسمت بدورها إلى قسمين: مقاومة سلمية إيجابية، ومقاومة سلمية سلبية، نوردتها كما يلي:

1-1-المقاومة السلمية الايجابية:

لم يدّخر فقهاء وعلماء المالكية بالقيروان جهداً في استعمال كل ممكن في مقاومة ومجابهة بني عبيد، وفي نقض دعوتهم الفاسدة، وقد اتخذت هذه المجابهة والمقاومة السلمية أشكالاً وأساليب متعددة، نذكر منها:
أ-الإفتاء بكفر وضلال العبيديين: وذلك بإجماع علماء المالكية، وفي هذا يقول العلامة القاضي عياض: «وقال أبو يوسف بن عبد الله الرعيبي في كتابه: أجمع علماء القيروان أبو محمد بن أبي زيد، وأبو الحسن القابسي، وأبو القاسم ابن شبلون، وأبو علي بن خلدون¹، وأبو محمد الطيني، وأبو بكر بن عذرة²: أن حال بني عبيد، حال المرتدين والزنادقة بما أظهروه من خلاف الشريعة، فلا يورثون بالإجماع، وحال الزنادقة بما أخفوه من التعطيل، فيقتلون بالزندقة»³.

وقد أفتى علماء القيروان بكفر بني عبيد، وأنهم ليسوا من أهل القبلة، وكفروا كل من دخل في دعوتهم

¹-أبو علي بن خلدون: من فقهاء إفريقية وعلمائها وصلحائها، من أصحاب أبي الحسن القابسي، كان قد نشأ بإفريقية، جليل القدر في فقهاها، مطاعاً، وكانت العامة تتبعه، وكان شديداً على أهل البدع و الروافض مغرباً بهم، يستند منه أهل السنة إلى ملجأ ووزر، توفي سنة(407هـ) ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص 104.

²- أبو بكر بن عذرة: فقيه قيرواني فاضل زاهد، صاحب بن أبي زيد وطبقته،رحل إلى المشرق وسمع من غيره من العلماء. ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص274.

³- نفسه، ج7، ص ص ، 277، 278.

راضياً، ولم يعذروا المكره وقالوا "يختار القتل ولا يدخل في دعوتهم"¹، فهذا خلف بن أبي القاسم البرادعي² نقم عليه فقهاء القيروان صلته بملوك بني عبيد وتأليفه كتاباً في تصحيح نسبهم، وزادوا نقماً عليه عندما وجدوا بخطه الشناء على العبيدين، فأفتى علماء المالكية بالقيروان بطرح كتبه وعدم قراءتها.³

ب-المجاهرة بعقيدتهم: وتحملوا الأذى والسجن والقتل، لأجل ذلك، وقد امتلأت كتب التاريخ والتراجم بصفحات روت بطولاتهم وكيف أنهم لم يبالوا أنهم امتحنوا وقتلوا في ذات الله، ومن هؤلاء: أبو عبد الله محمد بن عبد الله السدري (ت309هـ): كان قد بايع على جهاد عبيد الله، وجاهره بالعداوة فأرسل إليه عبيد الله الشيعي من يأتيه به، ولما أوقف بين يديه قال له عبيد الله: أنت الشاتم لنا الذاكرا عنا أنا أحدثنا في الإسلام الحوادث، فقال له: نعم أنا القائل بذلك، فقال له: وما الذي رأيته منا؟ فأخبره بكل ما يعتقد في الدين والإسلام، وكل ما أحدث فيهما، فقال حينئذ عبيد الله لأوليائه: اضربوا عنقه، فقتل رحمه الله سنة (309 هـ).⁴

أما العالمان أبو بكر بن الهذيل وابن البرذون (ت297هـ)، فقد كانا صادحين بالحق، ذابّين عن السنة، طلبهما عبيد الله: «فلما وصلا إليه، وجداه على سرير ملكه جالسا، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعي، وعن يساره أبو العباس أخوه، فلما وقفا بين يديه، قال لهما أبو عبد الله، وأبو العباس: أتشهد أن هذا رسول الله، وأشار إلى عبيد الله؛ فقالا جميعا: والله الذي لا إله إلا هو، لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه، والقمر عن يساره يقولان إنه رسول الله، ما قلنا أنه رسول الله. فأمر عبيد الله بذبحهما حينئذ جميعا، وأمر بربطهما إلى أذنان البغال».⁵

وقيل: «أن إبراهيم ابن البرذون لما جرد للقتل قال له الحسن بن أبي خنزير: أترجع عن مذهبك؟ فقال له: أعن الإسلام تَسْتَبِينِي؟، فقتل»؛ وقيل: أنه لما امتنع هو وصاحبه من ذلك قال لهما: «اخرجا إلى الناس، فقولا أنه قد فعلنا ولا تفعلنا»، فأبيا عليه ذلك، واعتلا بأنه يُقتدى بهما، وقالوا: «عذاب الدنيا أيسر من عذاب الآخرة»، فأمر بضرهما بالسوط حتى ماتا، وقيل ضرب أعناقهما، وطيف بهما مسحوبين على وجوههما، قد ربطا إلى بغل، فجرهما من باب تونس إلى باب أبي الربيع، فصلبا هنالك.⁶

¹ - القاضي عياض: المصدر السابق، ج3، ص177.

² - خلف بن أبي القاسم البرادعي: من كبار فقهاء المالكية بالقيروان، أخذ عن أبي زيد والقاسبي وغيرهما، توفي سنة (400هـ) ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، صص، 708، 709.

³ - إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، 2005، ص324.

⁴ - المالكي: المصدر السابق: ج2 ص169-175.

⁵ - المالكي: المصدر السابق، ج2 ص49. الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص63.

⁶ - الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص64.

ج- مقاطعة بني عبید وكل مُتعاطف معهم: حيث اعتمدها علماء المالكية بالقيروان، كوسيلة لمقاومة التيار الشيعي، ونعني بها المقاطعة الجماعية التي قاطع بها علماء المالكية كل من له صلة بالشيعية، وتمثلت في مقاطعة قضاة الدولة وعمالها¹، وأماكن العبادة التي يسيطر عليها العبيديون الذين جعلوا من مقر الخليفة قبلة لهم، حيث كانوا يصلّون إلى القيروان، حتى إذا انتقلت الخلافة العبيدية إلى المهديّة اتخذوا من هذه العاصمة الجديدة قبلة لهم وشرقوا، الأمر الذي جعل علماء السنة يعزفون عن الصلاة في مساجد العبيديين.²

ولما دخل عبید الله القيروان، وخطب أول جمعة وجبله بن حمود جالس عند المنبر فلما سمع كفرهم قام قائماً وكشف عن رأسه حتى رآه الناس، وخرج يمشي إلى آخر الجامع وهو يقول: قطعوها قطعهم الله، فما حضرها أحد من أهل العلم بعد ذلك. وهو أول من نبه على ذلك.³

كما قاطع الفقهاء كل وظائف الدولة العبيدية، وبخاصة مناصب القضاء إلا من تنازل عن مذهبه السني، وحرّضوا العامة على مقاطعة النظام المالي والاقتصادي العبيدي، كما فعل الداودي⁴ في كتاب (الأموال)⁵، وسبق قول الداودي في خطيب بني عبید الذي يدعوا لهم يوم الجمعة بأنه كافر يقتل، ولا يستتاب، وتحرم عليه زوجته، ولا يرث ولا يورث ماله في المسلمين، ومن صلى وراءه، خوفاً، أعاد ظهره أربعاً.⁶

وقاطع العلماء بعض خيار الفقهاء لمجرد إظهار التساهل واللّين مع العبيديين، كما حدث لأبي القاسم خلف البرادعي وابن خيرون، الذي سيأتي ذكرهما بالتفصيل لاحقاً.⁷

د-التدريس: لم يتخل فقهاء المالكية عن التدريس في هذه الفترة الحرجة، فلما مُنعوا من التحديث والإقراء في المساجد فتحوا بيوتهم للطلبة فقصدوهم للتلقي، وقد تحولت بيوت كل من أبي إسحاق السبائي وأحمد بن نصر الهواري وأحمد بن يزيد الدباغ⁸، إلى ما يشبه المساجد، يؤمّها الناس لتعلم الدين الصحيح، كما فعل أبو سعيد

¹ - إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص 323.

² - حسن حافظي علوي: المرجع السابق، ص 55.

³ - المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص 43.

⁴ - الداودي: هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي من أئمة المالكية بالمغرب، وكان فقيهاً فاضلاً متفنناً مؤلفاً مجيداً، له حفظ من اللسان والحديث والنظر، أصله من المسيلة، وقيل من بسكرة، له عدة مؤلفات توفيت بتلمسان سنة (402هـ). ينظر: القاضي عياض المصدر السابق، ج 7، ص 102، 104.

⁵ - بشير بويجيرة علي الشريف: جهاد فقهاء المالكية، وأساليب مقاومتهم للدولة الشيعية العبيدية، مقال، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 11، العدد 3، ديسمبر 2020، ص 8.

⁶ - القاضي عياض: المصدر السابق، ج 7، ص 275.

⁷ - بشير بويجيرة علي الشريف: المرجع نفسه، ص 9.

⁸ - وأحمد بن يزيد الدباغ: كان عالماً عاملاً، له في السماع فهم، سمع من يحيى بن عمر وغيرهم، توفي سنة (330هـ)، ودفن بباب أبي الربيع بالقيروان؛ ينظر: الدباغ: المصدر نفسه، ج 3، ص 18، 20.

خلف بني عمر، وأبو الأزهر وابن شبلون وابن التبان، والقابسي، وغيرهم¹، وكان تلاميذ أحمد بن نصر بن زياد الهواري يقصدونه في بيته بعد أن منعه العبيديون من التدريس في المسجد²، وأبو بكر محمد بن اللباد(ت 333هـ)، الذي امتحنه دعاة الشيعة ومنعوه من إلقاء دروسه بالمسجد الجامع، ثم سجن مع المجرمين في المهديّة، ثم أطلق وألزم الاعتكاف في بيته، فكان تلاميذه - ومنهم عبد الله بن أبي زيد - يقصدونه خفية، ويجعلون كتبهم في أوساطهم حتى تبتل بالعرق، وداوم على الإقراء، وقد استفاد منه جيل كامل حافظوا على سند الشيوخ المتوارث³، فكان هذا مما ساهم في نشر العلم وعدم انقطاع الحياة العلمية وتعمق الوعي السني بخطورة الفكر الشيعي.

ومن بين ما قام به العلماء المالكيون في التصدي للفكر الإسماعيلي هو التحيّل في تعليم أطفالهم حتى يتربوا على السنة، وذلك ما قام به أبو إسحاق السبائي وغيره، فإنه كان يعلم الأولاد الكتاميين - حملة الدعوة الإسماعيلية - ولا يأخذ منهم أجراً ترغيباً لهم في الإقبال عليه "ويعلمهم القرآن والسنة ولا يعلمهم يكتبون، ويقول: ليس يضرونّ الناس بالقرآن، و إنما يضرونّهم بالأقلام، فعزم كل صبي كتامي علمه أبو إسحاق عن الإسلام والسنة"⁴.

هـ- المناظرات والمساجلات: كان للفقهاء في ذلك مقامات مشهورة، وآثار محمودة، وذلك أن بني عبيد لما ملكوا القيروان أظهروا تبديل مذهب أهل البلد، وأجبروا الناس على مذهبهم بطريق المناظرة وإقامة الحجّة، فذهب العلماء عن دينهم مدافعين ولآل عبيد مناظرين، دونما ارتياع و لا ارتياب⁵.

وقد حمل لواء هذه المناظرات فقيهان فذّان، قال عنهما صاحب المعالم: «لم يزل أهل القيروان في جهاد مع الفرق الضالة والفتنة المارقة، ولم يزل الشيخ الأوحّد أبو عثمان سعيد بن الحداد، وأبو محمد عبد الله بن إسحاق التبان، يناظران على مذهب أهل السنة ويرون ذلك من أعظم الجهاد حتى أخذ الله نارهم، وقل عددهم، وظهر حزب الحق وأعلى الله كلمته والحمد لله رب العالمين»⁶.

¹ - القاضي عياض: المصدر السابق، ج 6، ص 211.

² - نفسه، ج 5، ص 96.

³ - نفسه: ج 5، ص 293، 294.

⁴ - نفسه، ج 3، ص 516 .

⁵ - بشير بويجيرة: المرجع السابق، ص 7.

⁶ - الدباغ: المصدر السابق، ج 2، ص 265.

وناب الشيخ أبو عثمان الحداد عن المسلمين في هذه المناظرات أحسن مناب، حتى مثله أهل القبروان بأحمد بن حنبل أيام المحنة¹، وقال رافضاً ومجيباً من أمره بالتقيّة طلباً لسلامته: «قد أريت على التسعين، ومالي في العيش من حاجة، وقتيل الخوارج خير قتيل، ولا بد لي من المناظرة والمناضلة عن الدين، وأن أبلغ في ذلك عذراً»، وصدق، وكان هو المعتمد في مناظرة الشيعة،² و قال له ابنه محمد يوماً: «إتق الله في نفسك، ولا تبالغ في مناظرة الرجل (أبو عبيد الشيعي) فقال له: حسبي من له غضبت وعن دينه ذبيت».³

ومن مناظراته ما رواه عنه ابن التبان، قال: «لما اجتمع أبو عثمان سعيد بن الحداد بأبي عبد الله الشيعي في مجلس المناظرة، قال له أبو عبد الله: أنتم تفضلون على الخمسة أصحاب الكساء غيرهم، يعني بأصحاب الكساء محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً، والحسن، والحسين، وعلياً، وفاطمة، وعُني بغيرهم: أبا بكر، فقال أبو عثمان: أيّما أفضل؟ خمسة سادسهم جبريل؟ أو اثنان الله ثالثهما؟ فبُهِت الشيعي».⁴

كما تناظر عبد الله الشيعي مع أبي عثمان، فقال له: القرآن يقرّ بأنّ محمّداً ليس بخاتم النبيين، فقال له سعيد: أين ذلك؟ فقال له: في قوله تعالى: «وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ»⁵، فخاتم النبيين غير رسول الله، فقال سعيد: هذه الواو ليست من واوات الإبتداء إنّما هي من واوات العطف، كقوله تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»⁶، فهل من أحد غير الله يوصف بهذه الصفات، وتكلّم عنده يوماً، فغضب من كلامه رجل من كتامة يعرف بأبي موسى شيخ المشايخ، و قام إليه بالرّمح، فمنعه أبو عبد الله من ذلك، ثمّ عطف إلى أبي عثمان فقال له: يا شيخ لا تغضب، إذا غضب هذا الشيخ، غضب لغضبه اثنا عشر ألف سيف⁷، و اشتهر سعيد بن محمد بمناظراته وثباته على الحق، لذلك علا شأنه بين الناس.

لقد كانت المقاومة الجدلية عن طريق المناظرات هي أقوى وأوسع أنواع المقاومة السلمية التي قام بها علماء المالكية ضد الشيعة المنحرفين، وقد سطع سماء هذه المساجلات العلمية والمناظرات العقديّة عدد كبير من

¹ - محنة أحمد بن حنبل: وسببها رفضه القول بخلق القرآن، عندما طلبه المأمون فقال له الإمام أحمد: القرآن كلام الله وكلام الله غير مخلوق، وسلم الإمام أحمد إلى أيام المعتصم فقال له: ما تقول في القرآن؟ قال: القرآن كلام الله وكلام الله غير مخلوق فأمر به فضرب ثم سأله فأعاد قوله حتى قتل. أبو العرب: كتاب الحنن، ص 450 وما بعدها.

² - الدباغ: المصدر نفسه، ج 2، ص 298.

³ - المالكي: المصدر السابق: ج 2، ص 64؛ الحشني، طبقات علماء إفريقية، ص 62.

⁴ - الدباغ: المصدر السابق، ج 2، ص 298. المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص 56 وما بعدها.

⁵ - الأحزاب، الآية 40.

⁶ - الحديد، الآية 3.

⁷ - المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص 72.

العلماء، كانوا لسان أهل السنة الناطق والمدافع عن بيضة هذا الدين، كما تنوعت هذه المجالس، وتعدد المواضيع التي كانت تدور حولها هذه المناظرات، سيأتي ذكرها في المباحث اللاحقة.

و-المقاومة عبر التأليف : والتي كانت من الوسائل المحمدية والنافعة في مقاومة الشيعة، والتي كان لها أثر طيب في إقلاقهم وقض مضاجعهم، وإعلانهم الحرب على من يفعل ذلك، كما كان لها أثر في تبصير العامة بالحق وإرساء دعائم السنة ، وتناولت هذه المؤلفات مسائل العقيدة والفقهاء، والتشريع، وغيرها، أو التي تناولت مسألة الإمامة¹ التي هي ركن من أركان دين الشيعة²؛ فقد صنف العالم أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيرى المعروف بالقلانسي³: كتاب (الإمامة) وضرب سبع مائة سوط وحبس في دار البحر أربعة أشهر، بسبب تأليفه⁴، كما وضع أبو بكر بن اللباد كتاب (إثبات الحجّة في إثبات العصمة للأنبياء)⁵، ويبدو أنه تم تأليفه في سياق الرد على الإسماعيليين القائلين بعصمة الأئمة، وصنّف أبو محمد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التبان كتابا (في فضائل أهل البيت)⁶، إضافة إلى تأليف أخرى سيأتي التفصيل فيها لاحقا.

ويبدو أن التأليف كان له أثر عميق في تبصير الناس بدينهم، ونشر المذهب الحق فيهم، حتى أصبحوا يعتبرون كل من خالف هذه العقيدة مخالفا للإسلام وخارجا عن جماعة المسلمين، يجب فيه ما يجب في الكافر من المعادة والقتال والمقاطعة وغير ذلك من المعاملة، لعله يرتدع ويرجع ويتوب.⁷

إلى جانب هذه الأنواع من المقاومة السلمية – التي سبق ذكرها- كانت هناك أنواع أخرى، والتي فعلت فعلتها هي أيضا في نفوس الشيعة، نذكر منها: حضور المجالس العامة التي تغيظ الشيعة⁸، والتي كان يمنعها الشيعة

¹ - الإمامة: هي أهم ركن قامت عليه الفرق الشيعية ، فالذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصيةً، إما جليا، وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. ينظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص146.

² - إبراهيم التهامي : المرجع السابق، ص347.

³ - أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيرى المعروف بالقلانسي: كان رجلاً صالحاً فاضلاً فقيهاً عالماً بالكلام والرد على المخالفين، له في ذلك مؤلفات حسنة، سمع عن عدد من العلماء روى عنه أبو إبراهيم بن سعيد، وأبو جعفر الداودي، وغيره، وامتنحن على يدي أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي ، بسبب تأليفه كتاب الإمامة، وتوفي رحمه الله سنة(359هـ)، وقيل سنة (361هـ). ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، ص ص، 257، 258.

⁴ - نفسه، ج6، ص258.

⁵ - نفسه، ج2، ص21.

⁶ - نفسه، ج2، ص162.

⁷ - إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص، ص، 348، 349.

⁸ - إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص347.

خشية تأليب الناس عليهم، فكان كثير من العلماء يحضرونها قصد إثارة الشيعة وإغاضتهم، ومن ذلك حضور مسجد السبت¹ الذي كان يحضره المتصوفة، يقيمون فيه حلقات القرآن والذكر وإنشاد الرقائق، وكان هذا الاجتماع يخيف العبيديين ويؤرقهم ويقض مضاجعهم، فلذلك كان يحضره هؤلاء العلماء نكابة في الشيعة، ومن هؤلاء العلماء: أبو بكر محمد بن اللباد الفقيه، فقد كان يحضر إلى هذا المسجد ويخوض في الطين والمطر التي كانت بينه وبين المسجد، فلما سأله كيف تفعل ذلك وأنت تعلم أن هذا الاجتماع من البدع المنكرة وقد أنكروا كثير من العلماء، أجاب بقوله: " قال الله تعالى: « وَلَا يَطَّوَّنْ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَتَأَلَوْنَ مِنْ عَدُوِّ نَبِيًّا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ »²، وحضور هذا المسجد يغيض بني عبيد، ولو وجدت شيئاً أغيض لهم منه لفعلته"³.

1-2- المقاومة السلمية السلبية:

كان فقهاء المالكية أكثر من واجه شقاء وبلاء العبيديين، بمناهضتهم ومناوئتهم جهود تشييع منطقة المغرب الإسلامي، وإن كان موقف الإنكار على الدولة العبيدية والدعوة إلى نبذ عقيدتها هو الغالب، إلا أنه هناك من الفقهاء المالكيين من لم ينكر على العبيديين، وكان متعاطفاً مدهاناً، أو موافقاً خائناً، ولهذا يمكن أن نصنف فقهاء المالكية باعتبار الإنكار على العبيديين إلى: فقهاء منكرين ومناهضين، وهم السواد الأعظم، وفقهاء غير منكرين، وهم قلة يسيرة وثلة صغيرة.

أ- العلماء المنكرين الفارين بدينهم⁴:

أما المنكرون المناهضون فقد انقسموا بدورهم، بحسب ما رُكِّبَ فيهم من غريزة الشجاعة وخلق الإقدام، وثبات الجأش إلى منكر بقلبه فقط، فار بدينه يتغي السلامة لبدنه وأهله، ومنهم: أبو محمد يونس بن محمد الورداني⁵ (ت299هـ)، قال المالكي: « روى أبو القاسم الليبي عن شيوخه قالوا: كان يونس الورداني هذا محمول الذكر، وذلك أنه لما دخل عبيد الله إفريقية واستولى عليها، طلب أهل الفضل والدين، فخاف على نفسه منه، فخير أهله بين أن يهرب من إفريقية فلا يروونه أبداً، أو يتركوه يرعى البقر، فاختاروا له الثانية، فاقبل على

¹ - مسجد السبت: يقع هذا المسجد بناحية الدقة خارج سوسة (بتونس) قريبا من قرية الصحابي أبي زمعة البلوي؛ ينظر: إبراهيم التهامي، المرجع نفسه، ص348.

² - سورة التوبة: الآية 120.

³ - الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص24؛ إبراهيم التهامي، المرجع نفسه، ص348.

⁴ - إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص315.

⁵ - أبو محمد يونس بن محمد الورداني: قيل أنه لم يبق عند سحنون كتاب إلا وقد ظهر عليه يونس؛ ينظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص، ص 419، 420.

رعاية البقر، فكان إذا أصبح أخذ مصحفه فجعله في مخلاة وتقلد بها، وأخذ عصاه، وساق البقر بين يديه، وأبعدها عن العمارة، وأقبل على قراءة القرآن النهار أجمع، فإذا أمسى واختلط الظلام أقبل بالبقر إلى منزله، فكان هذا دأبه حتى مات، وسلّمه الله تعالى من فتنة بني عبيد. قالوا هذا الذي أحمل ذكره رضي الله تعالى عنه»¹.

ومنهم أيضاً أبو حفص عمر بن عبد الله بن يزيد الصديقي² (ت349هـ):. قال أبو علي الوراق: « وكان أبو حفص من أهل العلم والورع، لا ينام إلا مغلوباً، لم يكن في وقته مثله، فلما دخل بنو عبيد قر، فسكن المنستير، ولم يتخذ فيها بيتاً وإنما كان يدفع كساه عند رجل من سكان القصر، ولما اشتهر أمره، كان إذا تكاثر الناس بالقصر في الموسم، يخرج إلى سوسة وكانت له بها زوجة فيقيم بها، ويلبس ثياباً جميلة، ويتزيّن بزّيّ التجار، ويمشي في الأسواق، ويخفي بذلك نفسه فلا يعرفه أحد، فيطلبه الناس تبركاً بدعائه، فلا يجدونه، وهو بينهم في سوسة، ولا يعرفون أنه ذلك. فإذا انقضى الموسم رجع إلى بيته وما اعتاد على لبسه»³.
وأُنكر أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي، وكان من أئمة المالكية بالمغرب، على معاصريه من أهل القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد وبقاؤهم بين أظهرهم، و أنّه كتب إليهم مرّة بذلك، فأجابوه بأنّ بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام وبقية صالحة للإيمان، و أنّه لو خرج من إفريقية لتشيّع من بقي فيها من العامة، فرجّحوا خير الشريين⁴.

إذا كان حال بعض الفقهاء المالكيين من أنكر بقلبه فقط، وفضّل الفرار بدينه، طالبا السلامة لبدنه وأهله، فإن هناك من العلماء من لم يُنكر على العبيديين، وكان متعاطفاً مدهاناً، أو موافقاً خائناً.
ب- العلماء الخائنين المتعاطفين مع بني عبيد:

لقد اعتمد العبيديون الشيعة على المال والمناصب والجاه والوسائل المادية في كسب بعض العلماء إلى دائرتهم، وقليل من هؤلاء من انقلب إلى آل عبيد شاكاً في عقيدته ودينه، وأول المنقلبين وكبيرهم، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور القيرواني القاضي⁵، قال الذهبي: « كان مالكيًا، ثم تحول إلى مذهب الشيعة لأجل

¹ - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص، ص، 45، 46.

² - أبو حفص عمر بن عبد الله بن يزيد الصديقي: كان ممن طلب العلم وتفقه، وسمع من أحمد بن أبي سلمان وغيره، لزم العبادة وقيام الليل كان ممن حفظ العلم وعني به، ثم تركه، توفي رحمه الله تعالى، سنة خمسين وثلاثمائة، ويقال اثنين وخمسين، وقيل سنة تسع وأربعين؛ ينظر: القاضي عياض، المصدر نفسه، ج6، ص، ص، 50، 51؛ المالكي، المصدر نفسه، ج2، ص، ص، 455، 456.

³ - القاضي عياض: المصدر السابق، ج6، ص، ص، 50، 51؛ المالكي: المصدر السابق، ج2، ص، ص، 455، 456.

⁴ - القاضي عياض: المصدر نفسه، ج7، ص102.

⁵ - وهو غير أبي حنيفة النعمان الإمام صاحب المذهب الحنفي.

الرياسة، وداخل بني عبيد، وصنّف لهم كتاب (ابتداء الدعوة)، وكتابا في الفقه، وكتبا كثيرة في أقوال القوم، وتصانيفه تدل على زندقته وانسلاخه من الدين، وأنه منافق، نافق القوم، كما ورد أن مغربيا جاء إليه فقال: قد عزم الخادم على الدخول في الدعوة، فقال: ما يحملك على ذلك؟ قال: الذي حمل سيدنا، قال: يا ولدي، نحن أدخلنا في هواهم حلّواهم، فأنت لماذا تدخل؟ وكان ملازماً للمعزّ أبي تميم، وولي القضاء له على مملكته، وقدم مصر معه من الغرب.¹

كما تشيّع محمد بن حيان الذي صحب ابن سحنون وكان صاحب الصلاة بسوسة طلبا للمال، ومثله أبو بكر القمودي، وعلي بن منصور الصقّار، و أما ربيع بن سليمان بن سالم المعروف بابن الكحالة تشييع لغرامه بغلام شيعي ألفه، وتشيع قاسم بن خلّاد الواسطي طمعا في قضاء باجة ثم استغني عنه، ومثله جعفر بن أحمد بن وهب ولاء قاضي العبيديين إسحاق بن أبي المنهال مظالم القيروان، وكذلك أحمد بن بحر ولاء ابن أبي المنهال مظالم القيروان، ثم قضاء طرابلس، ثم القيروان بعد وفاة أبي إسحاق بن أبي المنهال، وأبو محمد بن شهرام من سوسة تشييع وتولى كتابة محمد بن عمر المروزي، لكن زرارة بن أحمد الذي كان يصحب المدنيين والعراقيين، ويتحلّى بالعلم والنظر، فقد ولاء عبيد الله مدينته (المهدية) وهو في المذهب الشيعي من الغالين.²

ومنهم أيضا أبي جعفر محمد بن محمد بن خيرون (ت 301هـ)، ذكر أنه كان عابدا فقيها. قال الخشني: «وأبو جعفر بن خيرون كان له طلب وعناية ورحلة، وأدخل بعض كتب داود القيروان، بلغني أنه كان ألف لعبيد الله كتاب (نسب الشيعة وأخبارهم)، وكان مرشحا للقضاء، وكان محمد بن عمر المروزي فيما قيل لي بغض به، وهو الذي سعى به حتى قتل ابن خيرون»³. قيل: «إنه لما ضربه ابن أبي خنزير مائة سوط، وعذبه قيل له: هات الأموال التي جمعت، فقال: والله لو أن تحت قدمي جبّا مملوءا بمال الدنيا كلها ما أخرجت لكم منه درهما، واني قد عصيت الله تعالى فيكم فسأطكم علي، فاضربوا ما شئتم وعذبوا كيف شئتم هذا ما كان من أمر القاضي»⁴.

وحامت حول بعض العلماء شبهة التعاطف مع بني عبيد، ومن هؤلاء أبو القاسم بن خلف بن أبي القاسم الأسدي المعروف بالبرادعي، حيث لم تحل له رئاسة في القيروان رغم أنّه كان من حفاظ المذهب المالكي

¹ - الذهبي شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المكتبة التوفيقية، القاهرة. (د.ط.)، ج26، ص 227. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب حققه: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير دمشق - بيروت، ط 1، 1986، ج 4، ص338.

² - الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص78،80. الخشني: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تحق: عزت العطار الحسني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2 (1415هـ-1994م)، ص 295.

³ - الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص 44.

⁴ - الدباغ: المصدر السابق: ج2، ص161.

المؤلفين فيه، وكان مبغضاً عند أصحابه بسبب صحبة سلاطين الشيعة، ويقال إنّ الفقهاء أفتوا برفض كتبه وترك قراءتها لأنّه وجد بخطّ يده في ذكر بعض العبيديين، أو أنّه ألف كتاباً في تصحيح نسبهم و أنّهم كانت تأتيمهم إمامة.¹

2- المقاومة المالكية المسلحة:

لم يكتف وينحصر موقف علماء المالكية بالقيروان من سياسة الدولة العبيدية التي تميزت بالعنف والغلظة تجاههم على المقاومة السلمية فقط، بل منهم من حمل السلاح وخرج ليقاتلهم.

2-1- الفقهاء الذين حرضوا على قتال العبيديين:

لم يتبن فقهاء المالكية في بداية صراعهم مع العبيديين المقاومة المسلحة، خوفاً منهم من مآلاتها ومخاطرها، ولعدم العدة وتام الاستعداد، ولذلك أنكر السواد الأعظم منهم على عديد العلماء الذين تشوّفوا إلى قتال بني عبيد وإعلان التمرد المسلّح عليهم، وبالرغم من ذلك فقد نشط الكثير من المالكية في توعية العامة وتحريضهم على القتال، ومن هؤلاء الفقهاء:

الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي المتعبّد (ت 356هـ): كان رحمه الله شديد العداوة لبني عبيد، مجاهرهم بالسبّ والتكفير، لا يزال سلاحه في بيته مستعداً للقتال، و محرّضاً للناس عليهم، حتى نكرهم الكبير والصغير، وكان من علماء القيروان المقدم لدى أهلها، ينظرون إذا نزلت المعضلات إلى ما يفعل؟ فإن أغلق بابه فعلوا مثله، وإن فتح بابه، فتحوا، وإن نطق وتكلم، تكلموا مثل كلامه لتقدمه عندهم، وقد كان رحمه الله يجتهد في جمع السلاح، فعملوا مثله²، فقد روي عنه أنّه كان إذا رقي أحداً يقرأ في رقيته الفاتحة والمعوذتين كلّ سورة سبع مرّات، ثمّ يقول في آخر رقيته: ببغضي بني عبيد وذويه وحيّي في نبيك وأصحابه وأهل بيته، وكان يشير إلى أصحاب أبي يزيد ويقول: هؤلاء من أهل القبلة، فإن ظفرنا بهم - أي بالشيعة العبيديين - لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد، والله يسلّط عليه إماماً عادلاً يخرج عنه.³

ومنهم الشيخ: ربيع القطان⁴ (ت 333هـ)، الذي جعل على نفسه أن لا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع الله دولة بني عبيد، وكان من أكبر الدعاة النشطين للخروج على بني عبيد، وعندما عوتب في خروجه قال: كيف لا

¹ - نفسه، ج 3، ص 148؛ بشير بويجرة علي الشريف: المرجع نفسه، ص 9.

² - المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص 471، الدباغ: المصدر السابق، ج 3، ص 64. الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص 23.

³ - المالكي، المصدر نفسه، ج 2، ص 469. القاضي عياض، المصدر السابق، ج 3، ص 376.

⁴ - ربيع القطان: هو أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله القرشي القطان، الفقيه الأديب الشاعر، الناسك الزاهد، سمع بالقيروان من أبي بكر اللباد وأبي العرب وغيرهما، جمع بين العلم والعمل، وكان ممن خرج على بني عبيد لقتالهم، توفي سنة (333هـ). ينظر: الدباغ، المصدر السابق، ج 3، ص 30، 33؛ المالكي، المصدر السابق، ج 2، ص 324.

أخرج وقد سمعت الكفر بأذني، فمن ذلك أني حضرت يوماً إسهادا فيه جمع كثير أهل سنة ومشاركة، وكان بالقرب مني أبو قضاة الداعي، فأتى إليه رجل مشرقى من أعظم المشاركة، فقام إليه رجل منهم وقال له: إلى ها هنا يا سيدي ارتفع إلى جانب رسول الله، يعني أبا قضاة، فكيف يسعي أن أترك القيام عليهم.¹

ومنهم أيضا: الشيخ أبو يوسف جبلة بن حمود (ت 299هـ)، الذي لم يكن في وقته أكثر اجتهدا منه في مجاهدة عبيد الله وشيعته، كان لا يداري في ذلك أحد من الخلق. يقول أبو بكر المالكي: « ولما دخل عبيد الله الشيعي إفريقية، ونزل رقادة ترك جبلة بن حمود سكنى الرباط، ونزل القيروان، فخطب في ذلك فقال: كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر فتركناه، وأقبلنا على حراسة هذا الذي حلّ بيننا، لأنه أشدّ علينا من الروم، فكان إذا أصبح وصلّى الصبح خرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة، معه سيفه وترسه وفرسه وسلاحه، وجلس محاذيا لرقادة إلى غروب الشمس ثم يرجع إلى داره ويقول: أحرس عورات المسلمين من هؤلاء القوم، فإن رأيت منهم شيئا حركت المسلمين عليهم».²

ومن هؤلاء العلماء الشيخ أبو الفضل عباس بن عيسى الممسي³ (ت 333هـ) ، الفقيه الذي استشهد معه خمس وثمانون رجلا، كلهم فاضل خير في حرب بني عبيد مع أبي يزيد، ويذكر المالكي: «جاءه بنو أبي سلاس (من رؤساء الإريس) في أيام أبي يزيد، فخرج إليهم من داره حافيا، فسمعتهم يقول لهم في كلام جرى بينهم: قد برح الخفاء، قتال هؤلاء القوم أفضل من قتال المشركين»⁴، وحكى أبو عبد الله المالكي أن أبو الفضل الممسي كان يقول: " إنّ الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الإسلام ويورثون ويرثون، وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنهم محوس زال عنهم اسم الإسلام، فلا يتوارث معهم ولا ينسب إليهم"⁵.

¹ - القاضي عياض: المصدر السابق، ج 5، ص 310، الدباغ: المصدر نفسه، ج 3، ص 30. المالكي، المصدر نفسه، ج 2، ص 323 وما بعدها.

² - المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص 37، 38؛ الدباغ: المصدر السابق، ج 2، ص 270.

³ - أبو الفضل العباس بن عيسى الممسي: جمع الفقه البارع والورع الحاجز ، سمع من موسى القطان و جبلة بن حمود وغيرهم، وأخذ عنه بن أبي يزيد، ومحمد بن الحارث وغيرهم، وكان ممن خرج لقتال بني عبيد من أهل القيروان مع أبي يزيد الخارجي، توفي سنة (333هـ). ينظر: الدباغ، المصدر نفسه، ج 3، ص 27، 30؛ القاضي عياض ، المصدر السابق، ج 5، ص 297، 307.

⁴ - المالكي: المصدر نفسه، ج 2، ص 297؛ الدباغ: المصدر نفسه، ج 3، ص 27.

⁵ - المالكي، المصدر السابق، ج 2، ص 298.

ومن العلماء أيضا، أبو العرب بن تميم¹ الذي حسم أمر شرعية الخروج والتحالف مع ثورة أبي يزيد²، ومنهم أبو عبد الملك مروان بن نصر الخياط الزاهد (ت340هـ)، وأبو عبد الله محمد بن الفتح المؤدب (ت334هـ)، أحد ممن عقد الخروج على بني عبيد لكنه لم يخرج لضعفه وكبر سنه³، وأبو محمد عبد الله بن فطيس (ت339هـ)، وأبو بكر محمد بن سعدون الجزيري التميمي المتعبد إمام جامع القيروان (ت344هـ)، وأبو حفص عمر بن محمد بن مسرور العسال (ت343هـ) وغيرهم كثير⁴.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض العلماء من بقي مترددا ورفض المشاركة في ثورة أبي يزيد الخارجي والتحالف معه لقتال بني عبيد.

2-2- التحالف مع ثورة أبي يزيد الخارجي:

لقد تجسد هذا التحالف في انضمام علماء المالكية بالقيروان إلى ثورة الخوارج التي قادها أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الزناتي، وقد عرفت ثورتهم هذه بثورة صاحب الحمار، خرج بناحية جبل أوراس وتلقب بشيخ المؤمنين، وقاتله عساكر القائم بأمر الله العبيدي صاحب المغرب، وعظم أمره ثم زحف على رقادة فامتلكها ثم خضعت له القيروان سنة (333هـ/944م)، وحاصر الخليفة العبيدي في المهديّة، وبعدها بدأت هزائمه تتوالى بانتفاض بعض البربر عليه، فرجع إلى القيروان سنة (334هـ/945م) وغنم أهل المهديّة معسكره، وتوالت المعارك، ومات القائم فتولى ابنه المنصور، فأخفى موت أبيه وخرج من المهديّة فالتقى بمخلد في سوسة، فكانت الحرب سجالا، ثم انهزم مخلد وقتل من أصحابه عدد كبير، وتعقبه المنصور إلى أن قبض عليه حيثما بعد أن أئخنتته الجراح، فجعل في قفص من حديد، وحمل إلى المهديّة، ثم قتله الخليفة وصلبه، وأمر بسلخه سنة (336هـ/947م).⁵

وما يميّز هذه الثورة الخارجية عن غيرها من الثورات مشاركة علماء أهل السنة المالكية فيها- الذين ذكرناهم سابقا- فقد رأى فقهاء القيروان وصلحائهم أنّ الخروج مع أبي يزيد متعيّن لكفر بني عبيد، أما العالم

¹ أبو العرب محمد بن تميم: بن تمام ابن تميم التميمي، مؤرخ كثير التأليف مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه، ومعاني الحديث، وهو ممن قتل دفاعا عن المذهب والسنة مع صحبه المسمي وربيح القطان في الموقعة التي حدثت بين أهل القيروان بزعامة أبي يزيد مخلد بن كيداد والشيعية سنة (333هـ)، ينظر: المالكي، المصدر نفسه، ج2، ص ص، 306، 310.

² نفسه، ج2، ص 309.

³ الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص ص، 38، 39.

⁴ إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص ص، 337، 339.

⁵ ابن حماد، المصدر السابق، ص62 وما بعدها. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص216 وما بعدها. بن زاوي طارق: المرجع السابق، ص3.

أبو العرب بن تميم الذي حسم الأمر عندما تناظر الناس حول شرعية الخروج، فقال لهم: اسكنوا، فسكت الناس فقال: حدثني عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة، فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم كفار»، فلما تمّ الحديث كبر الناس وارتفعت أصواتهم ثم خرجوا¹، وحتى أصحاب الأعدار أرادوا المشاركة في القتال ولو بشكل رمزي، فأبو ميسرة الضير مشى شاهرا السلاح في القيروان.²

ثم اجتمعوا وركبوا بالسلاح التام والبنود والطبول، وأتوا حتى ركزوا بنودهم قبالة الجامع وكانت سبعة بنود، وحضرت صلاة الجمعة فخطب خطيبهم أحمد بن أبي الوليد خطبة بليغة، وحرّض الناس على الجهاد وسبّ بني عبيد وأعلم الناس بالخروج من غدهم، فخرج الناس مع أبي يزيد لجهادهم، وحاصروهم في المهديّة، فلما رأى أبو يزيد ذلك ولم يشكّ في غلبته أظهر ما أكّنه من الخارجية، فقال لأصحابه: " إذا لقيتم القوم فانكشفوا عن علماء القيروان حتى يتمكن أعداؤهم منهم"، فقتلوا منهم من أراد الله سعادته ورزقه الشهادة، فمنهم الممسي وربع القطان في خمسة وثلاثين من الفقهاء والصالحين، وذلك في رجب سنة (333هـ/944م)، ففارق الناس أبا يزيد و أظهروا السنة وحلّقوا بالجامع³، وقالوا: قتل أولياء الله شهداء، واشتدّ بغضهم له⁴، وكانت هذه إحدى أهم الأسباب التي أدّت إلى هزيمة أبي يزيد وقتله، وكما هو متوقع لم يستتبع هذه الثورة إلا المزيد من العداء بين العبيديين والعلماء.

وفحوى القول أن علماء المالكية قاطعوا العبيديين الشيعة اجتماعيا ودينيا من جهة، كما قاطعوا اقتصاديا من جهة أخرى، فرفضوا كل صلوات مع بني عبيد، فمات أغلبهم إما حاملا للسلاح وإما سجيناً، وإما نتيجة التعذيب الذي مورس ضده، وبهذه العزيمة الصلبة، وبهذا الجهاد الكبير، واجه فقهاء المالكية دولة بني عبيد، وهم صابرون محتسبون لا يألون إقداما ولا يعرفون انهما، ولا شك أن موقف علماء المالكية قد جعل حكم الشيعة العبيديين لا ينعم بالاستقرار في بلاد المغرب، فوجهوا أنظارهم صوب المشرق.

¹ - بن زاوي طارق: المرجع نفسه، ص 3، المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 309

² - القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 317 ..

³ - القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 318، المالكي: المصدر السابق، ج2، ص 340 و ما بعدها.

⁴ - ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 218.

3- القضاء على الوجود الشيعي نهائيا بالمغرب الإسلامي:

وكان العبيديون قبل رحيلهم إلى المشرق باتجاه مصر سنة (361 هـ/ 971 م) عينوا على المغرب بلكين بن زيري¹ عاملا لهم على البلاد، وتوارث أبناؤه الحكم، وفي عهد المعز بن باديس² أظهر السنة ونبذ الشيعة، فجهر الناس بمعتقداتهم وأقاموا شعائرهم الدينية بحرية كبيرة، ثم قام المعز بتحريض من علماء السنة بقطع صلته السياسية بالعبيديين الشيعة وأعلن مبايعته للخليفة العباسي القائم في بغداد سنة (435 هـ/ 1043 م)³، وقام العبيديون بعد ذلك بإرسال أعراب بني هلال و بني سليم إلى بلاد المغرب ، فأحدثوا فيها خرابا كبيرا⁴.

¹ - بلكين بن زيري: أبو الفتح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، استخلفه المعز العبيدي على إفريقية سنة (361 هـ/ 971 م)، وأمر الناس بالسمع والطاعة له، ولم يزل حسن السيرة تام النظر في مصالح دولته إلى حين وفاته سنة (374 هـ) . ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، "القسم الثالث"، تحقيق: أحمد مختار العبّادي، دار الكتاب، الدار البيضاء ، ص 99.

² - المعز بن باديس: صاحب إفريقية ولد بالمنصورية سنة (398 هـ)، وملك بعد وفاة أبيه سنة (406 هـ)، حمل الناس على مذهب الإمام مالك، وقطع الخطبة للمستنصر العبيدي وخلع طاعته، وخطب للقائم بأمر الله العباسي، توفي المعز سنة (454 هـ) بالقيروان. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج 5، ص 233؛ ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج 3، ص 72.

³ - ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 266؛ بن زاوي طارق: المرجع السابق، ص 5.

⁴ - بن زاوي طارق: المرجع نفسه، ص 5.

الفصل الثالث

نتائج الصراع بين العبيدين والمالكية في القيروان

1- جرائم العبيدين في حق المالكية

2- المناظرات:

2-1- أهم المناظرات بين الشيعة والمالكية:

أ- مناظرة حول قيام رمضان (التراويح)

ب- مناظرة حول مولاة علي رضي الله عنه

ج- مناظرة حول القياس وحد شارب الخمر

3- المؤلفات:

أ- مؤلفات المالكية

ب- مؤلفات الشيعة

4- الشعر

قابل الخلفاء العبيديين روح المقاومة التي أبدتها علماء وفقهاء المالكية بالقيروان بمزيد من القتل والضرب التنكيل والتعذيب، لدفاعهم المستميت عن عقيدتهم، وكرههم الشديد لبني عبيد ورفض حكمهم، لما أحدثوا من تغيير في الدين وتحريف للعقيدة، وغيرها من المنكرات، فتعرض العلماء بذلك لمحن شديدة. فما هي الجرائم التي ارتكبتها العبيديون في حق المالكية؟.

1- جرائم العبيديين في حق المالكية:

يمكن أن نلخص جرائم الشيعة العبيديين في حق الإسلام عامة، وفي حق العلم وأهله بصفة خاصة في النقاط التالية:

- **الطعن في عقيدة أهل السنة والمساس بمقدساتهم:** كإبطال بعض السنن المتواترة والمشهورة والزيادة في بعضها¹، كما فعلوا في الأذان بزيادة: "حي على خير العمل"، وأسقطوا من أذان الفجر "الصلاة خير من النوم" ، ومنعوا صلاة التراويح، بعد أن ترك الناس على صلاتها عاما واحدا، وأمر بني عبيد بصيام يومين قبل شهر رمضان، وقتنوا في صلاة الجمعة قبل الركوع، وجهروا بالبسملة في الصلاة المكتوبة²، ومنعوا صلاة الضحى، ولم يكن أحد في مدة بني عبيد يصلحها إلا متخفيا، فإن ظهروا عليه قتلوه، وقدموا صلاة الظهر لفتنة الناس، وإجبار أئمة المساجد على الدعاء لعبيد الله المهدي من على منابرهم في خطبة الجمعة³، ما حمل أكثر الناس على ترك الصلاة في المساجد، حيث نشر عبيد الله المهدي دعواته داخلها لإرغام الناس وترهيبهم، مع محاولة ترغيبهم في المذهب الشيعي، يذكر ابن الأثير رجلا يدعى الشريف كأحد هؤلاء الدعاة الذين كانوا يجلسون في المساجد لدعوة الناس⁴.

- **إجبار الناس على الدخول في دعوتهم** فمن أحاب تركوه وربما ولوه بعض المناصب ومن رفض قتل، كما فعلوا عقب أول جمعة خطبها عبيد الله المهدي بالقيروان، حيث وقعت مقتلة عظيمة بين أهل القيروان والدولة العبيدية، فأمر عبيد الله بالكف عن العوام وافتعل مناظرات صورية، لإجبار العلماء على الدخول في مذهبه بالحجاج، فدارت على علماء السنة محن عظيمة، وقتل منهم عدة آلاف بسبب تمسكهم بالإسلام، ودفاعهم

¹ - إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص 309.

² - ابن حماد: المصدر السابق، ص 50.

³ - ابن الخطيب، أعمال الأعلام ج3، ص 51؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 06 ص 18؛ القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص 294، 293، المقرئبي المصدر السابق، ج 2، ص 92؛ إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 446.

⁴ - ابن الأثير، المصدر نفسه، ج 06، ص 133.

المستमित عن السنة¹. وأخذ عبيد الله المهدي ينشر مذهبه عن طريق العنف، ولا سيما مع زعماء المالكية، وأسس في عام (298هـ) إدارة تعرف "بديوان الكشف" للتحري عن المخالفين لمذهب الدولة من الفقهاء والمفتين والقضاة والمؤذنين.²

- قتل الفقهاء والعلماء وضربهم والتنكيل بهم: وذبهم في ذلك ترك: حيّ على خير العمل في الأذان، وترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، والفتيا بمذهب الإمام مالك أو بتهمة الطعن في السلطان، أو تمسكهم بعقيدتهم، فقتل الكثير من العلماء كما سبق ذكره، وفي هذا يقول الذهبي: "يا ما لقي العلماء والصُّلحاء بالمغرب من هذا الشيعي، قبحه الله ولا رحمه"³، وقال ابن ناجي التنوخي: "جزى الله مشيخة القيروان خيرا، هذا يموت وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة، رحمهم الله، ورضي عنهم".⁴

ويعطينا أبو الحسن القابسي رواية عن عدد العلماء والفقهاء الذين نالتهم يد الشيعة فيقول في ذلك: "الذي قتله عبيد الله وبنوه بعده، أربعة آلاف رجل في دار النحر-سجن العبيديين بالمهدية- في العذاب، ما بين عالم وعابد، ليردّهم عن الترضي عن الصحابة، فاختراروا الموت"، هذا عدا من كانوا يقتلون دون سجن ويمثل بهم في شوارع القيروان، وفي ذلك قال الشاعر سهل الوراق⁵:

وأحل دار النحر في أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات".⁶

- عمل العبيديون على إزالة آثار من سبقهم من الخلفاء السنيين، فحاولوا طمس معالمهم المادية بتغيير أسماء القصور والمساجد والقناطر السننية إلى أسماء شيعية بحتة، واستولى المهدي على قصر زياد الأغلي وجعله مخزنا

¹ - الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص91؛ القاضي عياض: المصدر السابق، ج3، ص521؛ محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص73.

² - سهيل طقوش: المرجع السابق، ص71.

³ - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج22، ص85.

⁴ - الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص292.

⁵ - سهل بن إبراهيم الوراق: كان معاصرا للفراري، وأدرك خلافة المعز الشيعي، ويذكر محمد العياضي أن كل الفراري وسهيل الوراق كانا أقرب إلى الفقهاء منه إلى الشعراء، ويظهر ذلك في رثائهما لفقهاء القيروان مثل أبي الفضل الممسي وأبي عثمان بن الحداد. وكانا معاصرين للسبائي الذي توفي سنة (356هـ)، وهما معاصران لابن هاني الأندلسي. أنظر: محمد العياضي، المرجع السابق، ص144. إبراهيم التهامي: المرجع نفسه، ص349.

⁶ - الذهبي: العبر في خبر من غير، تحقيق وضبط: أبو هاجر محمد السعيد بن بيوسي زغلول، ط1، دار الكتب العلمي، بيروت، 1985، ج2، ص17. سير أعلام النبلاء، ج15، ص145.

للسلاح¹، في محاولة فرض التشيع على العامة والعلماء خاصة بالتعسف والعنف، قال القاضي المروزي " : اعملوا بمذهب أهل البيت واركوا الفضول"².

-**شنوا حربًا نفسية على أهل السنة**، وذلك بتعليق رؤوس الأكباش والحمير على أبواب الحوانيت والدواب، وكتبوا عليها أسماء الصحابة رضي الله عنهم³، وأظهروا سب الصحابة رضي الله عنهم، وطعنوا فيهم وزعموا أنهم ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وخصصوا دعاة للنداء بذلك في الأسواق، ومن ذكر الصحابة بخير أو فضّل بعضهم على علي رضي الله عنه قتل أو سجن⁴.

- **ومن جرائم عبيد الله الكثيرة** أن قام بعض رجاله بإدخال خيولهم إلى المسجد وتدنيسها، فنقم القائم بأمر هذا المسجد فعلتهم، فاتهموه بالظعن في الدولة، وأخبروا عبيد الله بذلك فقتله في الحين⁵.

- **حرص العبيديون على منع التجمعات** خوفًا من الثورة والخروج عليهم، ولذلك جعلوا بوقًا يضرّبونه في أول الليل، فمن وجد بعد ذلك خارج داره ضرب عنقه، كما أنهم كانوا يفرقون الناس الذين يجتمعون على جنازة من مات من العلماء⁶.

-**حرموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك**، واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب والسجن أو القتل أحيانًا، ويعقب ذلك نوع من الإرهاب النفسي، حيث يُطوّف بالمقتول في أسواق القيروان وينادي عليه "هذا جزء من يذهب مذهب مالك" ، ولم يبيحوا الفتوى إلا لمن كان على مذهبهم⁷.

- **منعوا علماء أهل السنة من التدريس في المساجد**، ونشر العلم، والاجتماع بالطلاب، فكانت كتب السنة لا تقرأ إلا في البيوت خوفًا من بني عبيد⁸، فكان أبو محمد بن أبي زيد، وأبو محمد بن التبان وغيرهما، يأتيان إلى أبي بكر بن اللباد، شيخ السنة بالقيروان في خفية، ويجعلان الكتب في أوساطهما حتى تبتل بالعرق خوفًا من بني عبيد⁹.

1- المالكي، المصدر السابق، ج2، ص56.

2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج01، ص152،151.

3- القاضي عياض: المصدر السابق، ج3، ص318؛ محمد علي الصلابي: نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية، ص71.

4- محمد علي الصلابي: المرجع نفسه، ص71.

5- ابن عذارى، المصدر نفسه، ج01، ص284؛ فاطمة بالهوارى، المرجع السابق، ص278؛ طارق بن زاوي، المرجع السابق، ص21؛ علي محمد

الصلابي: المرجع نفسه، ص74-77.

6- المالكي، المصدر نفسه، ج02، ص56؛ القاضي عياض، المصدر نفسه، ج3، ص348.

7- المالكي: المصدر السابق، ج2، ص41؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص159. إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص311.

8- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص216.

9- الدباغ، المصدر السابق، ج03، ص26.

-**منعوا تداول كتب العلماء:** كما قام الشيعة بإتلاف مصنفات أهل السنة ومصادرتها، ومنعوا الناس من تداولها كما فعلوا بكتب الفقيه أبي محمد بن أبي هاشم التجيبي¹ (ت346هـ)، الذي توفي وترك سبعة قناطير كتب، رفعت إلى المعز لدين الله فأخذها ومنع الناس منها، كيدا للإسلام وبغضا فيه.²

-**تعطيل الشرائع وإسقاط الفرائض وإلصاق الخرافات والجهل بالدين:** حيث قام عبيد الله المهدي باختراق العقائد الدينية ومحاولة تعطيل عقول العامة من أتباعه خاصة، بإسقاط الفرائض عليهم، من وضوء، و صلاة، و زكاة، ولا أي فرض من الفرائض، وادعائه قلب الدين، وإباحة المحرمات من زنا وشرب خمر وغيرها³، وأدخل تغييرات في العقيدة وتشدد في تطبيقها، حتى انحازت عن تعاليم الإسلام، كإسقاط الرجم عن المحسنين في الزنا، وإسقاط المسح على الخفين، والصوم بالعلامة والفطر بما لا برؤية الهلال⁴، وتحليل المطلقة ثلاثا، إلى غير ذلك من المستحدثات.⁵

- **إدعاء المهدي بأنه رسول ونبي⁶ و اتصافه بصفات الخالق:** فقد غالى بعض دعائه حتى أنزله منزلة الإله، وأنه يعلم الغيب، وأنه نبي مرسل⁷، كما يقول المؤرخ بدر الدين بن قاضي شبعة⁸: " وكان له (أي عبد الله المهدي) دعاة بالمغرب يدعون الناس إليه وإلى طاعته، ويأخذون عليهم العهود، ويلقون إلى الناس من أمره بحسب عقولهم، فمنهم من يلقون إليه أنه المهدي بن رسول الله وحجة الله على خلقه، ومنهم من يلقون إليه أنه الله الخالق الرازق"⁹. وهو ما أنكر تقبله فقهاء المغرب الإسلامي، واعتبروا الإسماعيلية فرقة ضالة من الكفار تجب محاربتهم لما يمكن أن يحدثوه من فساد في عقائد المسلمين.

كانت تلك لمحات من بعض ما طبقه عبيد الله المهدي ودعائه، من تضييق وامتحان لأهل السنة عامة والمالكية خاصة ببلاد المغرب الإسلامي، ولم يسلم فقهاء المذاهب الأخرى أيضا من العنصرية المذهبية لهؤلاء،

1- أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم مسرور التجيبي: الفقيه المعروف بابن الحجام، كان مولده سنة 263هـ وكانت له تصنيفات ومؤلفات كثيرة في مختلف أنواع العلوم توفي بعد احتراق بيته بالنار سنة 346هـ؛ ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص422.

2- محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص72.

3- المالكي: المصدر نفسه، ج2، ص504.

4- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج15، ص374؛ محمد علي الصلابي، المرجع نفسه، ص74، 75.

5- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص159، 160؛ ابن حماد، المصدر السابق، ص27.

6- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج14، ص216؛ المالكي، المصدر نفسه، ج2، ص49؛ الحسين شواط، المرجع السابق، ج1، ص72.

7- إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص310.

8- ابن قاضي شبعة: هو أبو الفضل بدر الدين محمد بن أحمد الأسدي الدمشقي الشافعي، فقيه مؤرخ، من أئمة الكواكب الدرية في السيرة النورية، كفاية المحتاج إلى توجيه المنهاج، توفي سنة(874هـ). ينظر: إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص442.

9- بدر الدين بن قاضي شبعة: الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق: محمد زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت 1971م، ص204، 205.

لأنهم كانوا يسعون إلى إفناء كل المذاهب المخالف للمذهب الشيعي الإسماعيلي ببلاد المغرب الإسلامي ، ليحلوا لهم المجال بوسعه لنشر مذهبهم وتصديره إلى كل ربوع المنطقة وأقاليمها ولما لا خارجها.

2- المناظرات:

لقد كانت المجالس والمناظرات نوع من أنواع المقاومة الجدلية وهي أوسع وأقوى أنواع المقاومة التي قام بها علماء المالكية ضد الشيعة العبيديين، فقد أفحموا فيها دعاة بني عبيد وأقاموا عليها الحججة، ودحضوا مزاعمهم بالبراهين القاطعة واعتمدوا على القرآن والحديث فحفظوا للسنة مكانتها وللإسلام عزته وكانوا لسان أهل السنة الناطق¹، وكان هدف بني عبيد من هذه المناظرات هو تغيير عقيدة أهل السنة المالكية.

ومن أبرز الرجال الذين كانوا قائمين على هذا النوع من المقاومة، ابن البرذون الذي كان قوي الحججة في الجدل ولم يكن في شبابه أحد أقوى منه على الجدل والمناظرة وإقامة الحججة على المخالفين²، وكان يقول إني أتكلم في سبعة عشر فناً من العلم³، وأبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد، فقد كانت له مع بني عبيد مقامات كريمة ومواقف محمودة في الدفاع عن الإسلام والذّب عن السنة، ناظر فيها أبا العباس المخطوم أخوا عبد الله الشيعي مناظرة المتعزز المتعالي⁴.

وأبو محمد بن عبد الله التبان فقد كان هذا الإمام من أشدّ الناس على بني عبيد وأكثرهم مقاومة، ومن مواقفه المشهورة أنه كان يوماً في جمع من أصحابه وكان يوم عاشوراء، فلما رأى جمع بني عبيد بكى فقبل له: "ما ييكيك، فقال: والله ما أخشى عليهم من الذنوب لأن مولاهم كريم وإنما أخشى عليهم من أن يشكوا في كفر بني عبيد فيدخلوا النار"⁵.

وانقسمت هذه المجالس والمناظرات إلى نوعين: مجالس عامة يشترك فيها عدد كبير من العلماء على اختلاف مذاهبهم المناظرة للشيعة، وعلى الرغم من اختلاف هذه المذاهب في المسائل الفقهية، إلا أن مجالسهم شهدت وحدة كلمتهم، حيث يقول المقدسي نقلاً عن إبراهيم التهامي: "وليس غير حنفي ومالكي مع ألفة

¹ - حسن شواط : المرجع السابق، ص 80.

² - إبراهيم التهامي : المرجع السابق، ص 465.

³ - الخشني : المصدر السابق، ص 215.

⁴ - إبراهيم التهامي : المرجع نفسه، ص 466.

⁵ - الدباغ: المصدر السابق، ج 3، ص 91؛ إبراهيم التهامي: المرجع نفسه، ص 472.

عجبية لا شغب بينهم ولا عصبية قد أقبلوا على ما يعينهم وارتفع الغل في قلوبهم"، ومجالس خاصة كان يحضرها رجل واحد من أهل السنة كابن الحداد ورجل من الشيعة.¹

1-2- أهم المناظرات بين الشيعة والمالكية:

المواضيع التي كانت تدور حولها هذه المناظرات كلها تركز حول إمامة علي رضي الله عنه وإمامة المفضل مع وجود الفاضل، وصلاة التراويح، وزواج المتعة والتقية وغيرها من المواضيع التي يسعى الشيعة جاهدين من أجل فرضها وإثباتها²، ومن هذه المناظرات نذكر منها:

أ- مناظرة حول قيام رمضان (التراويح):

وفي هذا السياق سنعرض جزءاً من مناظرة دارت بين أبي سعيد والشيعة حول قيام رمضان وصلاة التراويح، ففي هذه المناظرة يريد الشيعة أن يقنعوا أهل السنة بأن صلاة التراويح ما هي إلا بدعة ابتدعتها عمر رضي الله عنه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»³، ولهذا قام عبد الله المروزي بجمع علماء السنة وقال لهم بأنه أمر بمناظرتهم في قيام رمضان، فقال أبو عثمان سعيد بن الحداد: شأنك وما تريد"، فقال: "ألستم تعلمون وتروون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم إلا ليلة ثم قطع، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي استقرّ القيام"، فقال أبو سعيد: "إن عمر لم يسن قيام رمضان، لأن قيامه كان موجودة قبل ذلك فقد قامه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»"، وقال أبو سعيد: "فقلت هذه البدعة من البدع التي يرضاها الله عز وجل ويذم من تركها"، فقال المروزي: وأين تجد ذلك في كتاب الله عز وجل؟ قال أبو سعيد في قوله تعالى: «وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَغَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»⁴، فنحن نشأ على هذه البدعة التي هي رهبانية لكيلا يذمنا الله عز وجل كما ذمهم⁵.

¹ - إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص 472.

² - إبراهيم التهامي: المرجع السابق، ص 330.

³ - نفسه، ص 331.

⁴ - سورة الحديد: الآية 27.

⁵ - المالكي: المصدر السابق، ج 2، ص 60، 64؛ الدباغ، المصدر السابق، ج 2، ص 30، 31.

ب-مناظرة حول مولاة علي رضي الله عنه:

في هذه المناظرة أراد عبيد الله الشيعي أن يثبت أن المولاة في قوله عليه الصلاة والسلام: « من كنت مولاة فعلي مولاة» بمعنى العبودية ، « قال له : فما بال الناس لا يكونون عبيدا لنا؟، فقال ابن الحداد: لم يرد ولاية رق وإنما أراد ولاية الدين، ونزع بقوله تعالى: « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ/ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»¹. قال : فما لم يجعله الله عز وجل لني لم يجعله لغير نبي، وعلي لم يكن نبياً وإنما كان وزيراً للنبي صلى الله عليه وسلم.²

ج-مناظرة حول القياس وحد شارب الخمر:

قال أبو عثمان سعيد بن الحداد: قال أبو عبد الله الشيعي: من أين قلتم بالقياس؟، قال أبو عثمان: قلنا ذلك من كتاب الله عز وجل، قال: فأين تجد ذلك؟ قال : قال الله عز وجل: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ»³، فالصيد معلومة عينه، والجزاء الذي أمرنا أن نمثله بالصيد المعلوم عينه ليس بمنصوص عليه، فعلمنا بذلك أن الله تعالى إنما أمرنا أن نمثل ما لم ينص ذكر عينه: بالقياس والاجتهاد، و منه قوله تعالى: « يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ»⁴ فلم يكله إلى حاكم واحد حتى جعلهما الله اثنين ليقيسا ويجتهدا.⁵

قال أبو عثمان سعيد بن الحداد: ثم عطف (أي أبو عبد الله الشيعي) على موسى القطان، فقال له: أين وجدتم حد الخمر في كتاب الله عز وجل؟، فقال له موسى القطان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من شربها فاضربوه بالأردية، ثم إن عاد فاضربوه بالأيدي، ثم إن عاد فاضربوه بالجريد»، فقال له أبو عبد الله الشيعي: أين هذا؟ أقول لكم: أين وجدتم حد الخمر في كتاب الله تعالى تقول: اضربوه بالأردية ثم بالأيدي ثم بالجريد؟، فقال أبو عثمان سعيد بن الحداد: فقلت له: إنما حد قياسا على حد القاذف، لأنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى، وإذا هذى افتري، فوجب عليه ما يؤول الأمر إليه وهو حد القذف».⁶

¹ - سورة آل عمران، الآية 79، 80.

² - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص59، 60. الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص ص، 299، 300.

³ - سورة المائدة، الآية 95.

⁴ - سورة المائدة، الآية 95.

⁵ - المالكي: المصدر نفسه، ج2، ص ص، 77، 78؛ الدباغ، المصدر نفسه، ج2، ص303.

⁶ - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص79؛ الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص ص، 303، 304.

كانت تلك بعض المناظرات التي وقعت بين علماء السنة والشيعة، وهي جزء يسير من مجموع المناظرات التي دارت بين الفريقين.¹

2- المؤلفات:

كان من نتائج الصراع بين العبيديين والمالكية بالقيروان، هو اجتهاد العلماء في وضع التأليف التي تنقض معتقد العبيديين، فقد ألفت بعض المسائل والقضايا الخلافية بين المالكية والشيعة الإسماعيلية، وما لاقاه فقهاء المالكية من مضايقات بضلالها على حركة التأليف لدى المالكية في العهد العبيدي، والتي تناولت موضوعات العقيدة، والفقه، والتشريع، كما تناولت مسألة الإمامة، وغيرها من المسائل.

أ- مؤلفات المالكية:

أولى فقهاء المالكية اهتماما كبيرا للتأليف، والتي مثلت استفزازا للسلطة الشيعية والتي أدت إلى قتل العديد منهم بسبب ما خطت أناملهم، مثل ما حدث للفقهاء أبو جعفر بن خيرون المعافري، الذي قتله العبيديون سنة (301هـ) بسبب تصنيفه لكتاب: (نسب الشيعة)²، وهي أكثر المسائل التي كانت تثير نقمة الشيعة العبيديين على من يخوض فيها.

كما صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي (ت359هـ): كتاب (الإمامة)، وكتاب (الرد على الرافضة)³، فامتحن بذلك على يد الخليفة العبيدي وضرب سبعمائة سوط وحبس في دار البحر أربعة أشهر، بسبب تأليفه⁴، كما وضع أبو بكر بن اللباد كتاب (إثبات الحجة في إثبات العصمة للأنبياء)، رداً على الإسماعيليين القائلين بعصمة الأئمة⁵، وصنف ابن التبان كتابا (في فضائل أهل البيت)⁶.

والظاهر أيضا أن منع الشيعة لصلاة التراويح هو الذي دفع ابن أبي زيد القيرواني إلى وضع كتاب (قيام رمضان والاعتكاف)⁷، ونظرا للتباين الموجود بين الشيعة والمالكية أيضا حول تحديد أوقات بعض العبادات فقد وضع بعض الفقهاء أيضا مؤلفات في هذا الموضوع، ومنهم: عبد الله بن أبي القاسم بن مسرور التحيبي الذي

¹ - عن مناظرات ابن التبان وأبي عثمان سعيد الحداد، ينظر الملحق رقم 01 والملحق رقم 02.

² - المالكي: المصدر نفسه، ج2، ص ص، 52، 53.

³ - يوسف حوالة: المرجع السابق، ج2، ص110.

⁴ - القاضي عياض: المصدر السابق، ج6، ص257؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج26، ص112.

⁵ - القاضي عياض: المصدر نفسه، ج2، ص21؛ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص22.

⁶ - القاضي عياض: المصدر نفسه، ج2، ص ص، 161، 162؛ الدباغ، المصدر نفسه، ج3، 91، 92.

⁷ - القاضي عياض: المصدر نفسه، ج3، ص143.

صنف كتاب (المواقيت ومعرفة النجوم والأزمان)¹، وابن أبي زيد القيرواني الذي وضع هو الآخر كتاب (تفسير أوقات الصلوات)².

ولإبراز فضائل الإمام مالك ومذهبه وضع أبو العرب كتاب (فضائل مالك)³، وتحت نفس العنوان صنف أبو بكر بن اللباد كتابا آخر⁴، كما وضع ابن أبي زيد القيرواني (كتاب الذب عن مذهب مالك) الذي دافع فيه عن المنحى التشريعي للمذهب المالكي، ونوّه فيه أيضا ببعض مناقب الإمام مالك ومكانته لدى كبار العلماء في عصره⁵، كما وضع ابن أبي زيد القيرواني كتاب (الافتداء بأهل السنة) الذي يبدو أنه تطرق فيه للأدلة التي توجب إتباع أهل السنّة في الطرق والمناهج التي وضعوها لاستنباط مختلف الأحكام الشرعية والرد على من خالفهم في ذلك⁶.

كما ألف الفقيه أحمد بن عبد الرحمان القصري (ت322هـ) كتاب (تجديد الإيمان من شرائع الإسلام) الذي اشتمل على نيف وستون جزءاً، عبر فيه عن موقفه من السلطة الشيعية الإسماعيلية⁷. هذا علاوة على أن الفترة العبيدية شهدت بروز عدد من أشهر فقهاء المالكية الذين عرفوا بكثرة مؤلفاتهم، ومن أبرز هؤلاء: أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي، الذي وضع مؤلفات كثيرة، حتى قيل أنه كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب⁸، وقيل ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب⁹، وقد ذكرنا بعضاً من مؤلفاته آنفاً.

1- نفسه: ج2، ص45.

2- نفسه: ج2، ص143.

3- نفسه: ج2، ص04؛ الدباغ، المصدر نفسه، ج3، ص36.

4- القاضي عياض: المصدر نفسه، ج2، ص21.

5- القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص142؛ الدباغ، المصدر السابق، ج3، ص111؛ حفيظ كعوان، أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية، رسالة ماجستير، تاريخ إسلامي (1430هـ-2009م)، جامعة باتنة/ الجزائر، ص137.

6- القاضي عياض: المصدر نفسه، ج2، ص142؛ الدباغ، المصدر نفسه، ج3، ص111.

7- المالكي: المصدر السابق، ج2، ص198؛ يوسف حوالة، المرجع السابق، ج2، ص111.

8- المالكي: المصدر نفسه، ج2، ص309.

9- القاضي عياض: المصدر نفسه، ج2، ص40؛ الدباغ، المصدر نفسه، ج3، ص36.

ومنهم أيضا: عبد الله بن أبي القاسم بن مسرور التجيبي، الذي ألف مصنّفات عديدة في مختلف العلوم، واحتوت مكتبته على كتب كثيرة بلغ وزنها سبعة قناطير¹، أما ابن أبي زيد القيرواني فقد وضع مؤلفات كثيرة تنوعت من حيث مواضيعها، وتباينت من حيث أهميتها ومنهجيتها، وبلغت ما يربو عن أربعة وخمسين مؤلفا.²

ب - مؤلفات الشيعة:

كما يبدو أنه ثمة علاقة تأثير وتأثر بين تزايد نشاط فقهاء المالكية وجهود الدعاة العبيديين في المجال العلمي، ولاسيما فيما يتعلق بالتأليف، فقد وضع بعض الأئمة والدعاة الشيعة أيضا مؤلفات تبين مبادئ مذهبهم وأحكامه، ومن أشهرهم في هذا المجال القاضي النعمان الذي وضع عدة مصنّفات، بلغت 44 كتابا وما وجد منها 20 كتابا، بعضها مطبوع وبعضها مازال مخطوطا³، ومنها كتاب: (الهمة في آداب إتيان الأئمة)⁴ الذي تناول فيه الآداب التي ينبغي أن تراعى في التعامل مع الأئمة العبيديين، وكتاب: (الأرجوزة المختارة)⁵، وهو عبارة عن قصائد شعرية في بيان العقائد الشيعية والرد على المخالفين لها، وأيضا كتاب: (دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام)⁶، وهو كتاب فقهي على المذهب الإسماعيلي، كما نسب إليه كذلك كتاب: (تثبيت الإمامة لمولانا علي بن أبي طالب)، إلا أن هذا الكتاب اختلف في نسبه فقد نسب أيضا للمنصور بالله ثالث الخلفاء العبيديين⁷، وأيا ما كان الأمر فإن المنصور بالله وضع كتابا في الإمامة، كما وضع القاضي النعمان مؤلفا آخر في هذا الموضوع.⁸

و للقاضي النعمان مؤلفات أخرى نذكر منها: أساس التأويل، وتأويل دعائم الإسلام، وكتاب التوحيد، وكتاب الرسالة المذهبية، وكتاب اختلاف أصول المذاهب، ومن مؤلفاته الفقهية: كتاب مختصر الآثار فيما روي عن الأئمة الأطهار، صنفه بأمر من المعز، وكتاب الينبوع والفقّه؛ وفي السير له كتاب: شرح الأخبار في فضائل

¹ - المالكي: المصدر نفسه، ج2، ص 423؛ الدباغ، المصدر نفسه، ج3، ص 57، 59؛ ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: الدكتور محمد الأحدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ج1، ص424.

² - القاضي عياض: المصدر نفسه، ج2، ص 142، 143؛ الدباغ، المصدر نفسه، ج3، ص111؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص 429، 430.

³ - عبد المجيد بن حمده: المدارس الكلامية في إفريقية إلى ظهور الأشعرية، ط1، دار العرب، تونس، 1986، ص216 وما بعدها.

⁴ - حفيظ كعوان: المرجع السابق، ص141.

⁵ - نفسه، ص141.

⁶ - نفسه، ص141، نشره أصف بن علي أصغر فيضي، وطبع بالقاهرة في دار المعارف سنة 1379هـ/ 1960م.

⁷ - يوسف حوالة: المرجع السابق، ج2، ص115.

⁸ - حفيظ كعوان: المرجع نفسه، ص141.

النبي المختار وآله المصطفين الأخيار من الأئمة الأطهار، وكتاب المناقب والمثالث، وكتاب المجالس والمسائرات، وكتاب رسالة افتتاح الدعوة¹.

ومن الدعاة الذين كانت لهم مؤلفات نذكر الداعي الطالبي أبو علي (ت 321هـ)، ومن مؤلفاته كتاب (أمهات الإسلام)، الذي تعرض فيه إلى التأويل وحقيقة وجوده، وغيره من الدعاة.²

وبناء على ما تقدم يمكننا القول أن المعارضة السنية المالكية للمد الشيعة وانتهاجهم الأساليب العلمية من خلال التأليف في مقاومتهم، كانت لها آثار إيجابية ومثمرة على الصعيد الثقافي، حيث أثروا الحياة الفكرية والعلمية بإنجازاتهم و جهوداتهم العلمية المتعددة والمتنوعة، كما يبدو أنها شكلت إحدى الأسباب الرئيسية التي أدت إلى فشل العبيديين في نشر ثقافتهم وأفكارهم بإفريقية.³

3-الشعر:

إلى جانب المؤلفات الفقهية، مثل الشعر قمة العطاء الأدبي لفقهاء المالكية في عهد الدولة العبيدية، بالنسبة لكل من الطرفين السني والشيعة، إذ كان الشعراء يُصوّرون بأصدق وأفضل الألفاظ والمعاني هذا التحول السياسي والمذهبي، ويؤرخون لأوضاع البلاد في ظل السلطة الرسمية الجديدة للدولة الشيعية.

ولأن الشعر يعد أكثر الحقول العلمية الأدبية وقعاً في نفوس العامة، اتخذته السلطة العبيدية الشيعية أداة للتعريف بكيانها وتمجيد حكامها وفرض قواعد مذهبها، فشجعت الشعراء وجعل حكامها بلاطهم مجعاً يُقرَّب الشعراء المواليين لمذهبها، والمشيدون بفضائل سلطتهم، مثل الشاعر علي بن محمد الإيادي⁴ الذي هجا أبو يزيد مخلد بن كيداد ومدح المنصور، حتى أن بعض الخلفاء العبيديين تولوا نظم الشعر وقرضه بأنفسهم، مثل الخليفة المنصور بالله (ت 341هـ) الذي نظم قصائد في الفخر والمدح وصلنا منها خمسة عشر بيتاً أوردها الجوزري في إطار تأريخه لانتصارات المنصور على أبي يزيد مخلد بن كيداد، ومنها قوله:

أَنَا الطَّاهِرُ الْمُنْصُورُ مِنْ نَسْلِ أَحْمَدَ بِسَيِّفِي أَقْدِمُ إِلَهُامَ تَحْتِ الْمَعَاوِرِ⁵

¹ - بن حمده عبد المجيد: المرجع السابق، ص 216 وما بعدها.

² - يمينة كباس: المرجع السابق، ص 167.

³ - موسى لقبال: المرجع السابق، ص 411.

⁴ - علي بن محمد الإيادي: نشأ وترى بتونس، عاصر خلفاء بني عبيد الأربعة، وعاصر الشاعر ابن هاني، لكن ذكره محمول وشعره مفقود. ينظر: محمد اليعلاوي، شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية، المنشور في حوليات الجامعة التونسية، عدد 10، سنة 1973، ص 98.

⁵ - يمينة كباس: المرجع السابق، ص 174.

كذلك نظم الخليفة الرابع المعز لدين الله (ت 365هـ) الشعر، وإليه تنسب الأبيات التالية، التي جاءت في شكل آهات عبّر فيها عن عدم قدرته على إخضاع سكان المغربين الأدنى والأوسط إلى مذهبه وسلطة دولته فقال:

لِلَّهِ مَا صَنَعْتَ بِنَا تِلْكَ الْمِحَاجِرِ مِنَ الْمِعَاجِرِ
أَمْضَى وَأَقْسَى فِي النُّفُوسِ مِنْ الْحَتَّاجِرِ فِي الْحَتَّاجِرِ
وَلَقَدْ تَعَبْتُ بَيْنَكُمْ تَعَبَ الْمَهَاجِرِ فِي الْمَهَاجِرِ¹

كما استعمل الدعاء والقضاة العبيديين الشعر كوسيلة لإثبات صدق مذهبهم والترغيب فيه من جهة، و لترهيب مخالفهم من جهة أخرى، نذكر منهم القاضي النعمان مُنظّر الفكر والفقّه الإسماعيلي، الذي كان له شأن كبير في هذا المجال بأرجوزته التي ضَمَّنَهَا قصائد تثبت الإمامة لعلي ابن أبي طالب -رضي الله عنه- دون سواه من الصحابة، وفي المقابل عمل على دحض ما استند إليه أهل السنة من إشارات على أحقية أبي بكر الصديق في الخلافة، أما شعراء البلاط الشيعي الذين مدحوا حكامه نذكر سعدون الوريحي² (ت 297هـ) ، الذي مدح عبيد الله المهدي، وعظّم نسبه بعد دخوله المغرب الإسلامي³ ، كما بالغ شعراء الشيعة في وصف الخلفاء العبيديين، بل أن بعضهم قد أنزل المهدي منزلة الإله فقال فيه:

حَلَّ بِرِقَادَةَ الْمَسِيحِ حَلَّ بِهَا آدَمَ وَنُوحَ
حَلَّ بِهَا أَحْمَدَ الْمُصَفَّى حَلَّ بِهَا الْكَبْشَ وَالذَّبِيحَ
حَلَّ بِهَا اللَّهُ دُوَ الْمَعَالِي وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ رِيحٌ⁴

أما الخليفة المعز لدين الله، فهناك رواية مفادها أنه أمر المؤذن أن يقول: " أشهد أن لا إله إلا الله وأن معدا (أي المعز) رسول الله " ، وبلغ الأمر أن شاعره ابن هانئ الأندلسي قد غالى في مدح المعز الذي قال فيه:

علمت من مكنون سر الله ما لم يؤت في الملكوت ميكائيلاً
لو كنت آونة مبشر أمة نشرت لمبعثك القرون الأولى
لو كنت نوحاً منذراً من قومه ما زادهم بدعائه تضليلاً

¹ - نفسه ، ص 175.

² - سعدون الوريحي: ويسمى أيضا بالوريجلي، ذكر له القاضي النعمان والمقريري أبياتا في مدح المهدي، كان شاعرا يمدح بني الأغلب ولي أعمالهم توفي سنة (297هـ). ينظر: محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص 166.

³ - يمينة كباس: المرجع نفسه ، ص 175.

⁴ - ابن عذارى: المصدر السابق، ج 1، ص 160.

الله فيك خفية لو أعلمت
أحيا بذكرك قاتل مقتـولا
لو كان آتي الخلق ما أوتيته
لم يخلق التشبيه و التمثيلا¹

كما حاولت نخبة من الفقهاء الشعراء السنة بالقيروان الرد على خصومهم بنفس سلاحهم، ألا وهو القصائد الشعرية، بعد تسخير السلطة العبيدية ودعاتها كل الوسائل في سبيل تشييع العامة، فظهر ما عرف بالشعر المذهبي كغرض جديد اتخذ شعراء أهل السنة المالكية لمناوئة خصومهم من الشيعة وغيرهم، وبرز ذلك في مراثيهم لشيوخ مذهبهم من الفقهاء والعباد والزهاد، ومثال ذلك رثاء الشاعر أبو عبد الله الحسن الداروني (ت343هـ) للفقير المسي عند مقتله على يد العبيديين، لأن أشعارهم في رثاء هؤلاء هي إظهار مدى أهميتهم ولقيمتهم الفكرية والروحية عند أتباع المذهب المالكي حسب ما تورد المصادر التاريخية.²

وعمل شعراء آخرون من خلال قصائدهم على إبراز مكانة المذهب المالكي، و إظهار مدى تمسك سكان القيروان به، فتجلى ذلك في جملة قصائدهم الممجدة للمذهب ورجاله.³

وكان أبو عثمان سعيد بن الحداد يقول الشعر ويحجده، فمن ذلك ما أنشده الفقيه محمد بن أبي زيد القيرواني عن أبي عثمان سعيد بن الحداد قال:

مازلت من حادثات الدهر متعجبا
حتى انقضى عجي بعد الثلاثمائة
لا بارك الله في عام وفي سنة
كانت لشّر زمان كان مختبئة
عادت أسافله طرا أعاليه
ولا أعالي إلا وهي منكفئة⁴

ومنها ما نظمه الفقيه محمد ابن أبي زيد القيرواني من الشعر في حق الإمام مالك، ردا على فقهاء الشيعة، وكذلك رثيه في قصيدة مطولة للفقيه أبو الفضل عباس الممسي (ت333هـ)،⁵ يقول في بعضها:

يا ناصرا للدين قمت مسارعا
وبذلت نفسك مخلصا ومريدا
وذبيت عن دين الإله مجاهدا
وابتعت بيعا رابجا محمودا
عهدي به بين الأسنة لم يكن
الله عند لقا العدو كمودا
حتى تخيره الجليل لـداره
وأناله حورا بها وخلودا

¹ - بن الخطيب: المرجع السابق، ج3، ص ص، 55، 56.

² - ميمنة كباس : المرجع السابق، ص176.

³ - نفسه، ص176

⁴ - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص، ص، 110، 111.

⁵ - ميمنة كباس المرجع السابق، ص176.

فعليك أبكي يا ابن عيسى ما بكت قمرية أو غدت تغريدا¹

ومن شعراء أهل السنة نجد: أبو القاسم الفزاري² (ت345هـ)، الذي هجا السلطة العبيدية وفضح ممارساتها السياسية والمذهبية، الهادفة إلى تقويض حرية أتباع أهل السنة³، ومن شعره في هجاء بني عبيد، والانتصار لأبي يزيد مخلد بن كيداد ثم الدعاء له، شأنه في ذلك شأن معظم فقهاء القيروان الذين ظنوا أن ثورته بالغة لا محالة هدف تخليصهم من حكم بني عبيد، قصيدته المطولة التي اخترنا منها هذه الأبيات الثلاث:

عبدوا ملوكهم وظنوا أنهم نالوا بهم سبب النجاة عموما

وتمكن الشيطان من خطواتهم فأراهم عوج الضلال قويا

رغبوا عن الصديق والفاروق في أحكامهم لأسلموا تسليما⁴

وقال أبو القاسم الفزاري يرثي أبا الفضل عباس بن عيسى الممسي :

عليك أبا الفضل استباق دموعي وشغلي بأنواع الأسى وولوعي

وناران : نار في المآقي من البكا ونار من الأشجان بين ضلوعي

على طاهر الأخلاق عف مبرء من السوء محمود بكل صنيع⁵

أما الشاعر سهل بن إبراهيم الوراق⁶، فنظم هو الآخر قصائد في ذم الشيعة وهجاءهم لإدعائهم النبوة ، ووصفهم بما هم أهلهم من الكفر والظلم، فقال:

غضب الإله على نبي لم ينزل حيران مغرورا أخا سكرات

منهمكا في خمرة وسماعه مترددا في الغي والشبهات

¹ - المالكي: المصدر نفسه، ج2، ص 300.

² - أبو القاسم الفزاري : ولد بالقيروان ونشأ بها واسمه محمد بن عبد الله ، اختلف في اسم أبيه، له قصائد في هجاء بني عبيد، توفي سنة (345هـ). عرف به وجمع شعره الأستاذ محمد اليعلاوي في فصله المعنون ب: شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية، المنشور في حوليات الجامعة التونسية ، عدد 10، سنة 1973. ص 120. ينظر: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص302، إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص349.

³ - ميمنة كباس: المرجع السابق، ص176؛ أمودج من شعره ينظر : أبو بكر المالكي، المصدر نفسه، ج:02، ص، ص: 490، 491.

⁴ - إبراهيم التهامي: المرجع نفسه ، ص350.

⁵ - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص303.

⁶ - سهل بن إبراهيم الوراق: كان معاصرا للفزاري ، وأدرك خلافة المعز الشيعي ، ويذكر محمد اليعلاوي أن كل الفزاري وسهيل الوراق كانا أقرب إلى الفقهاء منه إلى الشعراء، ويظهر ذلك في رثائهما لفقهاء القيروان مثل أبي الفضل الممسي وأبي عثمان بن الحداد. وكانا معاصرين للسبائي الذي توفي سنة (356هـ)، وهما معاصران لابن هاني الأندلسي. ينظر: محمد اليعلاوي، المرجع السابق، ص144؛ إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 349.

يا ابن الأراذل والمجوس أيا ابن من هتك الفروج وضيع الصلوات¹
ولما توفي أبو عثمان سعيد بن الحداد المدافع في مناظراته لأجل نصره عقائد أهل السنة، رثاه الشعراء فقال فيه
سهل بن إبراهيم الوراق:

وقالوا: قضى نخبًا وذاق منسية فيا لك من خطب يحل عُرى الصبر
وكم مارق عادى سعيدًا وسبه وضاق به ذرعًا وباداه بالهجر
يودّ بقلب ذاب همًا وغصّة لو أن أبا عثمان في ظلم القبر
أليس لسان المسلمين وسيفهم إذا كادهم أهل الضلال والكفر²

عدا هؤلاء ممن ذكرنا من الفقهاء والشعراء كثير، لكننا نكتفي بالأسماء السابقة الذكر على سبيل المثال لا الانتقاء، كي نعطي لمحة عن كون الفقهاء المالكيين وحتى الشيعيين لم يدخروا جهدًا في سبيل التوطيد كل لمذهبه في أرض واحدة هي بلاد المغرب الإسلامي، وإن كان تعصب الشاعر لمذهبه وصاحبه، لأكبر دليل على طبيعة المرحلة التي كانت تمر بما هذه الأرض، والتي سمحت للطرف السني من النزاع بتحقيق مكاسب، أبرزها على الإطلاق عجز العبيديين عن فرض معتقداتهم المذهبية وتوجهاتهم السياسية المختلفة على سكان المغرب الإسلامي، وكانت النماذج المذكورة قد واكبت متطلبات المرحلة الحرجة التي مرت بها المنطقة، وبجهودهم الرامية إلى الحفاظ على المذهب السني بكل الوسائل المتاحة، تمكنوا من تخليد أسمائهم في صفحات تاريخ المذهب المالكي.

¹ - ينظر القصيدة كاملة في: المالكي، المصدر السابق، ج2، ص ص، 496، 498.

² - المالكي: المصدر السابق، ج2، ص115.

خاتمة

تبين لنا مما سبق جملة من النتائج التي خلصنا إليها عبر رحلة بحثنا هذا في موضوع "موقف العبيديين من المالكية في القيروان" (297-362هـ/909-972م)، سنحاول إيرادها في النقاط التالية :

- يعتبر إعلان قيام الدولة العبيدية ذات المذهب الشيعي الإسماعيلي في بلاد المغرب الإسلامي أكبر انتصار سياسي حققه الشيعة الإسماعيلية في نهاية القرن الثالث الهجري و بداية القرن الرابع الهجري.

- نجاح أبو عبد الله الشيعي المؤسس الحقيقي للدولة العبيدية في نشر التشيع بين أفراد قبيلة كتامة البربرية بعد مجهودات دعوية كبيرة في بدايتها وسياسية وعسكرية بعد ذلك، منتصرا على جميع العقبات التي اعترضت طريقه بفضل ذكائه وقوة عزيمته.

- ركز العبيديون الشيعة جهودهم نحو علماء وفقهاء المالكية بالقيروان في نشر دعوتهم، وفرض مذهبهم وتثبيت وجودهم، لتحقيق أهداف عدة لعل من أهمها: ترويع العامة من الناس، من خلال التنكيل بالعلماء وتعذيبهم، واكتساب شرعية مذهبية هم في أمس الحاجة إليها في حال خنوع وانقياد العلماء والفقهاء لهم.

- بعد نجاح العبيديين الشيعة في تأسيس دولتهم، عمدوا في تثبيتها إلى استخدام أحسن الوسائل وأبشع الطرق من الغلو والتطرف والقسوة والعنف، والقتل والتنكيل خاصة ضد علماء وفقهاء المالكية، لكنهم أخطأوا حظهم وما أصابوا رشدهم، فبدل أن يضعفوا التوجه السني المالكي، كانوا سببا في شدة تمسك المغاربة به والذود عنه.

- تركيز عبيد الله المهدي وبنيه من بعده في توجيه سياسته المذهبية على علماء وفقهاء السنة المالكية وأتباعهم، كونهم يمثلون أكبر قاعدة شعبية بالقيروان، قلب المغرب الإسلامي النابض.

- كان فقهاء وعلماء المالكية بالقيروان هم أول ضحايا الانتصار الشيعي العبيدي في بلاد المغرب الإسلامي.

- قاوم فقهاء وعلماء المالكية المذهب الشيعي، بأقوالهم وأفعالهم واستبسلوا في الدفاع عن دينهم وعقيدتهم، وقاوموا بطش وقهر العبيديين وأتباعهم الذين لم يتركوا لا عالم ولا فقيه وحتى عامة الناس لم يسلموا من جرائمهم.

- صمود المالكية في وجه الشيعة العبيديين، ودورهم في الحفاظ على دين الأمة الإسلامية، عزز من موقعهم ومكانتهم في القيروان والمغرب الإسلامي عامة، ومن نتائج صمودهم، وتضحياتهم التي بذلوها، ومحاربتهم للفكر الشيعي بالسيف والقلم، هو انتصارهم وتجديد المذهب المالكي.

- إن لجوء فقهاء المالكية بالقيروان إلى المقاومة المسلحة والتحالف مع ثورة الخوارج التي قادها أبي يزيد، رغم الاختلاف المذهبي، بينت شدة العنف المذهبي المسلط عليهم من طرف السلطة الشيعية، كما كشفت مدى إصرارهم وحرصهم الشديد على ضرورة القضاء على الدولة العبيدية الشيعية، وبينت مدى خطورتها على دين الإسلام وعقيدة المسلمين.

- قوة المذهب السني المالكي، وتأصله في نفوس العامة من سكان القيروان خاصة والمغرب الإسلامي عامة، أضعف الغزو العبيدي الشيعي وبدد آمال الغزاة، ومثلت بلاد المغرب الإسلامي تلك المحطة التي مرت منها الدولة العبيدية الشيعية في طريق عودتها وتوسعها نحو بلاد الشرق.

- نجاح علماء السنة المالكية في الدفاع عن عقيدتهم وإبدائهم مقاومة شديدة في سبيلها ضارين في ذلك أروع صور الإخلاص والصبر في سبيل نصرته مذهب أهل السنة والجماعة منذ قيام الدولة العبيدية الإسماعيلية إلى غاية انتقالها إلى مصر.

- إدراك حكام الدولة العبيدية لمكانة ووزن نخبة الفقهاء المالكية عند رعيتهم، وقدرة هؤلاء على توجيه الحراك السياسي والمذهبي في منطقة الغرب الإسلامي، خاصة بعد مشاركتهم في أعمال مسلحة ضد الدولة الفاطمية، كادت أن تنهي وجودها، مما أدى إلى تغير نوعي في سياسة المنصور خاصة المذهبية مع المالكية.

- سياسة التضييق التي انتهجها العبيديين في تعاملهم مع المالكية، لم تمنع العلماء من التأليف، بل ساهمت في غزارة المؤلفات، للرد على الشيعة ودحض معتقداتهم الباطلة، أو دفاعا عن السنة، وأعطى دفعا لاستمرار حركة التأليف والنشاط العلمي خلال تلك الفترة.

- مواصلة علماء السنة المالكية جهودهم الرامية للقضاء على المذهب الشيعي بعد تولي الزيريين حكم إفريقية باسم العبيديين، مما دفع المعز بن باديس رابع الأمراء الزيريين إلى إعلانه القطيعة النهائية مع العبيديين الشيعة ومبايعته للخليفة العباسي القائم في بغداد سنة (435 هـ/1043م).

- الهجوم الشيعي على بلاد المغرب الإسلامي، كان أكبر فتنة تعرضت لها البلاد، وتلظت بعنادها ومحتتها، وهو أخطر من الهجوم الصليبي، يشهد لذلك وقائع التاريخ، وكلام العلماء. هذا وقد خلصنا في نهاية بحثنا بجملة من الاقتراحات.

الاقتراحات:

- المذاهب المنحرفة تؤثر على كامل كيان الدولة، لذا يجب وأدها في مهدها حتى لا تترسخ ويزداد خطرهما.
- وجوب تقوية المقومات الفكرية للدولة لمحاربة الأفكار الدخيلة، بما يؤثر على استقرارها الديني والسياسي والاجتماعي، ما يسمح لها التفرغ للواجب الوجودي وهو النهضة الحضارية.

-الإبقاء على جذوة المقاومة الفكرية مشتعلة حتى يستمر النضال لتحقيق المقاصد مثلما حصل في الثورة الجزائرية، حيث حافظ الجزائريون على استمرارية المقاومة للاحتلال الفرنسي منذ دخولها في مقاومات شعبية أبقّت على الفكرة حية إلى غاية نجاحها في ثورة أول نوفمبر.

الملاحق

الملحق (01):

مناظرة بين أبو محمد عبد الله بن إسحاق التبان وبعض الدعاة العبيديين:

« وكان عبد الله المعروف بالمحتال، صاحب القبروان، شد في طلب أهل العلم ليشرقهم، فطلب الشيخ أبو سعيد ابن أخي هشام، وأبا محمد التبان، وأبا القاسم بن شبلون، وأبا محمد ابن أبي زيد، وأبا الحسن القابسي، رضي الله عنهم، فاجتمعوا في مسجد ابن اللحام واتفقوا على الفرار، فقال لهم ابن التبان: أنا أمضي إليه، وأكفيكم مؤونة الاجتماع، ويكون كل واحد منكم في داره، ويقال إنهم أرادوا السير إلى عبد الله، فقال لهم: أنا أمضي إليه، أبيع روعي من الله دونكم، لأنكم إن أتى عليكم، وقع على الإسلام وهن، ويقال: إنه قال لعبد الله لما دخل عليه: جئتك عن قوم إيمانهم مثل الجبال، أقلّهم يقيناً أنا، فحدث بعض من حضر، قال: كنت مع عبد الله، وقد احتفل مجلسه بأصحابه، وفيهم الداعيان: أبو طالب، وأبو عبد الله، لعنهم الله، وقد وجه إلى ابن التبان، فإذا به داخل، وعيناه توقدان، كأنهما عينا شجاع، فدخل وسلم. فقال: أبطأت عنا يا أبا محمد، فقال: في شغلك، كتاب ألفته في فضائل أهل البيت الساعة، أتاني به المجلد، ودفعه إليّ، فقال: يا أبا محمد ناظر هؤلاء الدعاة. قال: في ماذا؟ قال: في فضائل أهل البيت، فقال لهما: ما تحفظان في ذلك، فقال له أبو طالب: أنا أحفظ حديثان - ولحن - ثم سأل الآخر، فقال له: وأنا أحفظ حديثان، فقال فيما هذان الحديثان اللذان تحفظ أنت؟، فقال له: هما يحفظان حديثان - ونطق بلحنهما - وأنا أحفظ في ذلك تسعين حديثاً، فأولى بمما الرجوع إليّ، ثم قال عبد الله: يا أبا محمد، من أفضل أبو بكر أو علي؟ قال: ليس هذا موضعه، فقال: لا بد، فقال: أبو بكر أفضل من علي، فقال عبد الله: أيكون أبو بكر أفضل من خمسة، جبريل عليه السلام سادسهم؟ فقال أبو محمد: أيكون علي أفضل من اثنين، الله ثالثهما؟ إني أقول لك ما بين الوجهين، وأنت تأتيني بأخبار الآحاد، فضاق عبد الله، وقال: فمن أفضل عائشة أو فاطمة؟، فقال له: هذا آخر، سؤالك الأول؟ قال: لا بد، قال: عائشة رضي الله عنها، وسائر أزواج النبي أفضل من فاطمة، قال: من أين؟، فقال له: قال الله تعالى: « يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْنَ... » (الأحزاب: الآية 32)، فيقال: إن بعض الدعاة قال له في هذه المسألة: أيما أفضل، امرأة أبوها رسول الله، وأمها خديجة الكبرى، وزوجها علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله، وولداها الحسن والحسين، سيدي شباب أهل الجنة، أو امرأة أمها أم رومان، و أبوها عبد الله ابن أبي قحافة، فقال له أبو محمد: أيهما أفضل عندك، امرأة إذا طلقها زوجها، أو مات عنها تزوجها عشرون زوجاً؟ أو امرأة إذا مات عنها زوجها أو طلقها لم تحل لأحد؟، فيحكى

أن أبا عبد الله قال له: يا أبا محمد أنت شيخ المؤمنين، ومن يوثق بك، أدخل العهد، وخذ البيعة، فعطف عليه أبو محمد وقال له: شيخ له ستون سنة، يعرف حلال الله وحرامه، ويرد على اثنين وسبعين فرقة، يقال له هذا؟ لو نُشرت بين اثنين، ما فارقت مذهب مالك، فلم يعارضه، وقال لمن حوله: امضوا معه، فخرجوا ومعهم سيوف مصلتة، فمر بجماعة من الناس ممن أحضر، لأخذ الدعوة، فوقف عليهم فقال: تثبتوا ليس بينكم وبين الله إلا الإسلام، فإذا فارقتموه هلكتم، فترك عبد الله طلب بقية الشيوخ، بعد ذلك المجلس»¹.

¹ - القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، حققه: محمد بن تاويت الطنجي، ط2، الرباط، المغرب، 1983، ج2، صص، 161، 162؛ الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: أبو الفضل بن ناجي التبوخي، تحقيق: محمد الأحدي أبو النور، محمد ماضي، مكتبة الخانجي بمصر، المكتبة العتيقة بتونس، 1978م، ج3، صص، 91، 92.

الملحق (02):

مناظرة حول ولاية المفضل مع وجود الفاضل ومبدأ النص والاختيار:

« قال أبو عثمان سعيد بن الحداد: قال لي أبو العباس الشيعي (أخو أبي عبد الله الشيعي): أليس قولك إجازة تقديم المفضل على الفاضل، فقلت: أعزك الله بتوفيقه، أنا متبع في ذلك الكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، و ذلك لا يخفى على ذي لب نظر في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعدوهما إلى غيرهما، قال لي: وأين تجد ذلك في كتاب الله؟ قلت: قال الله تعالى: « وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ » (البقرة: الآية 247)، فقال عند ذلك كالمغضب: ليس القصة كما توهمت، فقلت له: والأمر الذي لم أتوهمه وفيه الحق عندك هل إلى ذكره من سبيل؟ فقال: نعم، ذكرت خبر طالوت واحتججت فيه بقول نبيهم؟ فقلت له: قال الله: « وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا » (البقرة: الآية 247)، لما كان خروج طالوت من فوق إذن نبيهم ثبت أن الله قدم المفضل على الفاضل إذ كنا لا نشك نحن ومن خالفنا أن نبيهم أفضل من طالوت، و طالوت هو المفضل، فقال لي: وهكذا اعتقادك؟، فقلت: نعم أيها الأمير، فقال: إنما كان خروج طالوت من تحت يد نبيهم، لا كما توهمت أنه من فوق إذنه، لأن نبيهم هو الذي أخبرهم أن طالوت مقدم على الجيش، فلما كان هذا هكذا كان الفاضل بعد هو المفضل، فقد تبين فساد قولك وتناقضه، قال أبو عثمان سعيد بن الحداد: فقلت له: نفس الآية شاهد ولا تكون الحجة من غيرها، وذلك أن الله أخبر عن نبيهم أنه قال لهم: « إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا » (البقرة: الآية 247)، ولم يقل: إني بعثته لكم، فلما جاء الخبر من نبيهم و أضافه إلى الله تعالى لا إلى نفسه وجب بهذا أن أمر طالوت من فوق إذن نبيهم وكذلك قالت الآية. قال: ثم قلت: وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر فيها إلى تقديم المفضل على الفاضل وهو ما لا ينكره أحد، من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر على جيش عمرو بن العاص، فكان يقسم الفيء ويأمر وينهى فيطاع، ويصلي لهم الصلوات ويشاورونه ويستأذنونهم في جميع شأنهم، وتحت يديه في الجيش أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وهما جميعاً أفضل منه، ولا يشك في ذلك أحد، وأيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر على جيش زيد بن حارثة رضي الله عنه فكان يفعل في ذلك وفيمن تحت يديه من المسلمين كفعل عمرو بن

العاص رضي الله عنه فيمن تحت يديه من المسلمين، وتحت يديه من الجيش جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أفضل من زيد بن حارثة ، فلما ثبت عندنا وقام مقام العيان جاز للأمة تقديم المفضل على الفاضل»¹.

¹ - إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، 2005م، ص ص،

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

أولا المصادر:

- 1- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري ت630هـ/1232م) الكامل في التاريخ ، تحقيق: عبد الله القاضي ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت،، ج 3 ، 8 1987م.
- العبر في خبر من غير ، تحقيق وضبط : أبو هاجر محمد السعيد بن بيوسي زغلول، ط1، دار الكتب العلمي، بيروت، ج2، 1985م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، ط3، مؤسسة الرسالة ، ج6، ج 15 ، 1405 هـ / 1985 م.
- 2-الأزهري (محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت 370هـ/981م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، 2001م.
- 3-الأسفراييني(طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر، ت471هـ/1079م) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، عالم الكتب، لبنان، ج1، 1983م.
- 4-ابن حماد(أبو عبد الله محمد بن علي ت826هـ/1231م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة، التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، د ط.
- 5-الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي، ت626هـ/1229م)، معجم البلدان، ط2 دار صادر، بيروت، ج1، ج3، 1995م.

- 6- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت 900هـ/1496م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، منشورات مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- 7- أبو حنيفة (القاضي النعمان محمد بن منصور بن حيون التميمي المغربي (ت 363هـ/ 974 م)، افتتاح الدعوة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 2005م.
- 8- الخشني (أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد، ت 361هـ/972م) قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تحق: عزت العطار الحسني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1415هـ/1994م.
- طبقات علماء إفريقية، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1993م.
- 9- ابن خطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني ت 776هـ / 1374م) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثالث، نشر بعنوان تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق وتعليق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب: الدار البيضاء، المغرب، ج3، 1964م.
- 10- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن محمد الحضرمي ت 808هـ/ 1406م)، ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط ومراجعة: خليل شحادة وسهيل زكار، ط2 ، دار الفكر، بيروت ، ج 4 ، ج 6 ، 1988م.
- المقدمة من كتاب العبر، تحقيق وتقديم: عبد السلام الشدادي دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ج6، 1983م.

- 11- ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ت681هـ / 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج2، 1971م.
- 12- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي ، ت699هـ/1300م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: أبو الفضل بن ناجي التتوخي، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور، محمد ماضوي، ج2، 3، مكتبة الخانجي بمصر، المكتبة العتيقة بتونس، 1978م.
- 13-الدمشقي(أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، ت 665هـ/1266م)، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزبيق، ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ج2، 1418هـ / 1997م.
- 14-الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت 748هـ/1374) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج26، المكتبة التوفيقية، القاهرة. (د.ط).
- 15-الشهرستاني(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ، ت 548هـ/1153م)، الممل والنحل، (د، ط)، مؤسسة الحلبي، (د، م) ج1.
- 16-الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت 310هـ/920م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، ج5، (د ، ت).
- 17-ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم المصري ت257هـ/) فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، ج1، (د ت).

- 18- ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي ت 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج س كولان ، ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة بيروت، ج1، 1983م.
- 19- أبو عرب (محمد بن أحمد بن تميم التميمي ت 333هـ/945م): كتاب المحن، تحقيق: وهيب الجبوري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م.
- عرب، طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق: أحمد بن محمد الطلمنكي وعمر بن أبي بكر الأنصاري، (د،ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د، ت).
- 20- ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري أبو الفلاح، ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب حقه: محمود الأرنؤوط، ط 1 ، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت، ج 4 ، 1986م.
- 21- عياض (أبو الفضل بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي القاضي ، ت 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، 1998؛ الجزء2، حقه: محمد بن تاويت الطنجي، ، ط2، الرباط ، المغرب، 1983؛ الجزء3 والجزء4، حقه: عبد القادر الصحراوي، ط2، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1982، 1983؛ الجزء5، حقه: محمد بن شريف، ط2، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1982؛ الجزء6، ج7 حقه: سعيد أحمد أعراب، ط 1 ، مطابع الشويخ ، تيطوان، المغرب، 1982م.
- 22- ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين اليعمري ت 799هـ/1396م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة، ج1، (د، ط) ، (د ت)

23- ابن قاضي شهبة (تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي
الدمشقي، المعروف بـ بابن قاضي شهبة ت 874هـ/1470م)، الكواكب الدارية في
السيرة النورية، تحقيق: محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1971م.

24- المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت484هـ/1091م)، رياض النفوس
في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم
وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، ج2،
1994م.

25- المراكشي(عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين، ت 647هـ)،
المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح وتحقيق: صلاح الدين الهواري، ط 1،
منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ج1، 2006م.

26- المقريزي(أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي،
ت845هـ/1441م)، اتعاض الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال
الدين الشيال، ط1، القاهرة، ج1، 1996م.

27- النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري،
ت733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب والوثائق القومية،
القاهرة، ج28، 1423هـ/2009م.

ثانيا: المراجع:

28- بالهوارى فاطمة، الفاطميون وحركات المعارضة في المغرب الإسلامي، دار
المسالك، الجزائر، 2011م.

29- التهامي إبراهيم، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ط1،
مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، 2005م.

- 30- حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، المطبعة الأميرية بالقاهرة، مصر، 1932م.
- 31- بن حمده عبد المجيد، المدارس الكلامية في إفريقية إلى ظهور الأشعرية، ط1، دار العرب، تونس، 1986م.
- 32- حوالة يوسف، الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ج1، 2000م.
- 33- خالد كبير علال، التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي، دار المحتسب، الجزائر، 2008م.
- 34- دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، (د، ط)، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، ج2، 2010م.
- 35- الدشراوي فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.
- 36- زيتون محمد، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1988م.
- 37- سرور محمد جمال الدين، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 38- سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، ط3، دار الأوائل، دمشق، 2005م.
- 39- سنوسي يوسف إبراهيم، زناة والخلافة الفاطمية، ط1، ملتزم للطباعة، جامعة عين شمس، مصر، 1986م.

- 40- شواط الحسين ، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخمس هجري، ط1، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ج1 ، 1411هـ.
- 41- الصلابي محمد علي ، الدولة الفاطمية، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2006م.
-الصراع بين أهل السنة والرافضة نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية، ط1، مكتبة الصحابة ، الإمارات، الشارقة، 2007م.
- 42- طقوش محمد سهيل ، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام، ط2، دار النفائس، بيروت ، 2007م.
- 43- عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن 4 هـ،، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1991م.
- 44- لقبال موسى ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
- 45- بن مخلوف محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ج2 ، 1980م.
- 46- مرمول محمد الصالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983م.

ثالثا: الأطروحات والرسائل الجامعية:

- 1- بوراس رفيق: الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296-362هـ / 908-972م) مذكرة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة (2007-2008م) .

- 2- بوستة نسبية وآخرون: الصراع المذهبي في المغرب خلال القرنين 3 و4 هـ /9-10م، مذكرة ماستر، إشراف: أ حروز عبد الغني، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2014-2015.
- 3- سبع قادة :الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي أسسه ، مجالاته ، وانعكاسات، أطروحة دكتوراه ، إشراف: أ د بن معمر محمد، جامعة وهران، 2015.
- 4- كباس يمينة: الدور السياسي والعلمي للفقهاء في عهد الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي(296-361هـ/909-972م) ، مذكرة ماجستير، إشراف: د مصطفى مغزاوي. قسم التاريخ ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2015-2016.
- 5- كعوان حفيظ ، أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية، رسالة ماجستير، تاريخ إسلامي (1430هـ-2009م)، جامعة باتنة/ الجزائر.
- رابعاً: الدوريات والمقالات:
- 6- بالهوارى فاطمة: تحديات وصمود علماء المالكية في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ/10م- أحداث وحيثيات، مقال، قسم التاريخ ، جامعة وهران.
- 7- بويجرة بشير علي الشريف: جهاد فقهاء المالكية، وأساليب مقاومتهم للدولة الشيعية العبيدية، ، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 11، العدد3، ديسمبر 2020.
- 8- بن زاوي طارق: مواقف علماء المالكية من الدولة الفاطمية الإسماعيلية الشيعية، مجلة كان، العدد 29، سبتمبر 2015م.
- 9- اليعلاوي محمد، شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية، المنشور في حوليات الجامعة التونسية ، عدد 10، سنة 1973.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	بداية الآية
02	32	الروم	« وَكَانُوا شِيعًا »
02	83	الصفات	« وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ »
36	40	الأحزاب	« وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ »
36	03	الحديد	« هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »
38	120	التوبة	« وَلَا يَطُئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا »
54، 53	27	الحديد	« وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانٍ... »
54	79	آل عمران	« وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ... »
54	80	آل عمران	« وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا... »
54	95	المائدة	« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّدًا... »
54	95	المائدة	« يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ »
68	32	الأحزاب	« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ... »
70	247	البقرة	« وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا... »

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	رقم الحديث
44	قال: أبو العرب بن تميم حدثني عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة، فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم كفار»	01

53	أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»	02
53	قال أبو سعيد عثمان بن الحداد: "إن عمر لم يسن قيام رمضان، لأن قيامه كان موجودة قبل ذلك فقد قامه النبي صلى الله عليه وسلم فقال «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»"	03
54	قال موسى القطان في حد الخمر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من شربها فاضربوه بالأردية، ثم إن عاد فاضربوه بالأيدي، ثم إن عاد فاضربوه بالجريد»	04

فهرس المذاهب والفرق

الصفحة	المذاهب والفرق
2، 4، 5، 10، 16، 20، 22، 25، 26، 28، 32، 35، 37، 52، 55، 56، 57، 59	الإسماعيلية
10، 14، 17، 18، 24، 25، 27، 28، 32، 36، 37، 44، 45، 48، 50، 52، 53، 55، 59، 60، 61، 62	أهل السنة
9، 29، 53	الحنفية
36، 43	الخوارج
26	الشافعية
2، 3، 4، 5، 8، 10، 13، 14، 16، 18، 21، 22، 24، 25، 26، 28، 29، 32، 34، 35، 36، 37، 38، 40، 41، 42، 44، 45، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 55، 56، 57، 58، 59، 61، 62	الشيعة
5، 6، 7، 8، 9، 13، 14، 16، 17، 18، 19، 20، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 32، 34، 35، 37، 38، 39، 41، 44، 48، 49، 52، 53، 55، 56، 57، 58، 60، 62	المالكية

فهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام
- أ -	
25	ابن أبي المهزول
40، 33، 21، 20	ابن أبي خنزير
،52، 33، 15	ابن البرذون
7	ابن الحارث
24	ابن النديم
2،3	ابن حوشب
55، 40، 20	ابن خيرون
7	ابن عبدوس
23	ابن عذارى
،59، 28	ابن هاني الأندلسي
33، 15	ابن هذيل
25	أبو أحمد بن أبي الوليد
41	أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي
55، 37	أبو إسحاق بن عبد الله الزبيري
35	أبو الأزهر
،35، 13	أبو الحسن القابسي
49، 32	أبو الحسن القابسي
52، 16، 15، 14	أبو العباس الشيعي
4	أبو العباس عبد الله الأغلي
56، 44، 43	أبو العرب بن تميم
61، 44، 60، 43، 42	أبو الفضل عباس الممسي
61	أبو القاسم الفزاري
22	أبو القاسم بن المفرج
35، 32، 13	أبو القاسم بن شبلون
40	أبو بكر القمودي

42	أبو بكر المالكي
21، 35، 37، 38، 50، 55	أبو بكر بن اللباد
32	أبو بكر بن عذرة
43	أبو بكر محمد بن سعدون الجزيري
43	أبو حفص بن مسرور العسال
39	أبو حفص عمر بن عبد الله الصديقي
40، 57، 59	أبو حنيفة النعمان القاضي
13	أبو سعيد بن أخي هشام
35	أبو سعيد خلف بني عمر
2، 3	أبو سفيان
60	أبو عبد الله الحسن الداروني
2، 3، 4، 5، 13، 14، 16، 33، 36، 52، 54	أبو عبد الله الشيعي
26	أبو عبد الله بن إسحاق الجبلي
43	أبو عبد الله محمد بن الفتح المؤدب
43	أبو عبد الملك مروان بن نصر الخياط
14، 35، 36، 52، 53، 54، 60، 62	أبو عثمان سعيد الحداد
32	أبو علي بن خلدون
13، 14، 35، 36، 37، 50، 52، 55	أبو محمد التبان
32	أبو محمد الطنبلي
32، 50، 56، 60	أبو محمد بن أبي زيد
56، 51، 57	أبو محمد بن أبي هاشم التحبي
20	أبو محمد بن العباس الهذلي
40	أبو محمد بن شهرام
43	أبو محمد عبد الله بن فطيس
38	أبو محمد يونس بن محمد الورداني
32	أبو يوسف بن عبد الله الرعيبي
17، 21، 34، 42	أبو يوسف جبلة بن حمود
25، 35	أبي إسحاق السبائي
59	أبي بكر الصديق رضي الله عنه

23، 24، 25، 42، 43، 44، 58، 61	أبي يزيد مخلد بن كيداد
36	أحمد بن حنبل
21	أحمد بن زياد
56	أحمد بن عبد الرحمان القصري
21، 35، 39	أحمد بن نصر
35	أحمد بن يزيد الدباغ
22	إسحاق بن إبراهيم بن طريفة
21، 40	إسحاق بن أبي منهال
6، 7	أسد بن الفرات
6، 15، 49، 50، 60	الإمام مالك
-ب-	
45	بلكين بن زيري
6	البهلول بن راشد
-ج-	
19	جعفر الصادق
40	جعفر بن أحمد بن وهب
-ح-	
36	الحسن
26	الحسن بن نصر
36	الحسين
2، 3	الخلواني
-د-	
33، 34، 41	خلف بن أبي القاسم البرادعي
-ر-	
42، 44	ربيع القطان
40	ربيع بن سليمان بن سالم
-ز-	

40، 9، 6، 7	سحنون
59	سعدون الورجيني
49	سهل الوراق
-ع-	
62، 61	سهل بن إبراهيم الوراق
7	عبد الله بن عمر بن غانم
6	عبد الله بن فروخ
،22، 21، 20، 19، 18، 16، 17، 14، 10، 4، 5، ،49، 50، 48، 42، 40، 39، 36، 34، 33، 23 59، 54، 51، 52	عبيد الله المهدي
19	عروس المؤذن
،8	عقبة بن نافع
59، 54، 53، 5	علي بن أبي طالب
6	علي بن زياد
58	علي بن محمد الإيادي
40	علي بن منصور الصقار
53، 50، 40، 21، 20، 14، 15	عمر المروزي
53	عمر بن الخطاب رضي الله عنه
-ف-	
36، 16، 5	فاطمة
-ق-	
40	قاسم بن خلاد الواسطي
32، 13، 23	القاضي عياض
43، 24، 5، 23	القائم بالله
-م-	
40	محمد بن حيّان
22	محمد بن خالد الطيوري
25	محمد بن عبد الله الأنصاري
،22، 33	محمد بن عبد الله السدري

21	محمد بن محمد
45	المعز بن باديس
59، 51، 40، 28، 27	المعز لدين الله
58، 57، 43، 27، 26، 25، 24	المنصور بالله
54، 22	موسى بن عبد الرحمان القطان
-ن-	
20	النفطي

فهرس الأماكن

الصفحة	الأماكن
14، 15، 39، 42، 58،	إفريقية
16	الأندلس
2	البرانس
8	برقة
5	بني مدرار
5	تيهارة
4، 8، 9،	دولة الأغالبة
5	الدولة الرستمية
5	الدولة العباسية
2، 4، 5، 8، 13، 16، 17، 32، 27، 23، 34، 38، 41، 48، 58	الدولة العبيدية
5	الدولة الفاطمية
4، 10، 5، 16، 17، 42، 59	رقادة
5، 14،	سجلماسة
5	سلمية
39، 40، 43	سوسة
5	الشام
5، 40،	طرابلس

القيروان	،24 ،22 ،20،21 ،19 ،18 ،16،17 ،15 ،10،13،14 ،5،7،8،9 ،44 ،43 ،42 ،41 ،39،40 ،36 ،35 ،34 ،33 ،32 ،26 ،25 61 ،56،60 ،55 ،51 ،50 ،48،49
كتامة	،14 ،5 ،4 ،3
مصر	45 ،40 ،28 ،5 ،4
المغرب الأدنى	59 ،6 ،4 ،2
المغرب الأقصى	5
المغرب الوسط	59
مكة	3
المهدية	،49 ،44 ،43 ،40 ،35 ،10
اليمن	2

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتوى
أ-و	مقدمة
10-1	الفصل التمهيدي: العبيدون والمالكية بالقيروان (297هـ/909م)
2	1- قيام الدولة العبيدية في المغرب الإسلامي.
5	2- فقهاء وعلماء المالكية في القيروان.
8	3- التعريف بالقيروان
29-12	الفصل الأول: سياسة العبيدين مع المالكية في القيروان
13	1- سياسة عبد الله الشيعي مع المالكية في القيروان (296-298هـ/909-911م)
29-16	2- سياسة حكام الدولة العبيدية مع المالكية في القيروان:
16	2-1- سياسة عبيد الله المهدي (297-321هـ/909-933م)
23	2-2- سياسة القائم بأمر الله (322-334هـ/934-947م)
24	2-3- سياسة إسماعيل المنصور (334-345هـ/947-957م)
27	2-4- سياسة المعز لدين الله (345-361هـ/957-972م)
45-31	الفصل الثاني: مواقف المالكية من العبيدين بالقيروان
32	1- المقاومة المالكية السلمية
32	1-1- المقاومة السلمية الإيجابية
32	أ- الإفتاء بكفر وضلال العبيدين
33	ب- المجاهرة بعقيدتهم
34	ج- مقاطعة بني عبيد وكل متعاطف معهم
35	د- التدريس
35	هـ- المناظرات والمساجلات
37	و- المقاومة عبر التأليف
38	1-2- المقاومة السلمية السلبية
38	أ- العلماء المنكرين الفارين
40	ب- العلماء الخائنين المتعاطفين مع بني عبيد
41	2- المقاومة المالكية المسلحة
41	2-1- الفقهاء الذين حرضوا على قتال العبيدين
43	2-2- التحالف مع ثورة أبي يزيد الخارجي

فهرس الموضوعات

45	3-القضاء على الوجود الشيعي نهائيا بالمغرب الإسلامي
62-47	الفصل الثالث: نتائج الصراع بين العبيدين والمالكية في القيروان
47	1-جرائم العبيدين في حق المالكية
52	2-المنظرات
53	2-1-أهم المنظرات بين الشيعة والمالكية
53	أ- مناظرة حول قيام رمضان (التراويح)
54	ب- مناظرة حول موالاة علي رضي الله عنه
54	ج- مناظرة حول القياس وحد شارب الخمر
55	3-المؤلفات
55	أ-مؤلفات المالكية
57	ب-مؤلفات الشيعة
58	4-الشعر
64	خاتمة
67	الملاحق
80-73	المصادر والمراجع
82	فهرس الآيات والأحاديث
83	فهرس المذاهب
84	فهرس الأعلام
88	فهرس الأماكن
91	فهرس المحتويات

الملخص:

شهدت بلاد المغرب الإسلامي مع نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري قيام أول دولة شيعية على أراضيها ، ألا وهي الدولة العبيدية الشيعية الإسماعيلية، والذين حكموا المنطقة ما بين (297-362هـ/909-972م)، وحاولوا نشر مذهبهم بمختلف الطرق، مستعملين أبشع الوسائل، لكنهم اصطدموا بصمود ومقاومة المالكية لهم خاصة في القيروان، أين دارت معظم أحداث الصراع بين الشيعة الوافدين الجدد على بلاد المغرب ، وعلماء وفقهاء المالكية المتمركزين بالقيروان خاصة ، أين قاوموا المد الشيعي وعنفوانه بطرق جمعت بين المقاومة السلمية والعلمية والجدلية ، بل اعتمدوا على المقاومة المسلحة في سبيل التصدي لجرائم العبيديين الشنيعة في حق المالكية خاصة وأهل السنة والإسلام عامة.

الكلمات المفتاحية: الدولة العبيدية ، المالكية ، القيروان ، الشيعة العبيديين.

Résumé :

Le Maghreb islamique à la fin du IIIe siècle et au début du IVe siècle de l'hégire, l'établissement du premier État chiite sur ses terres, à savoir l'État ismaélien chiite Ubaid, qui a régné sur la région entre (297-362 AH / 909-972 après JC), et ont essayé de diffuser leur doctrine de diverses manières, en utilisant les pires moyens, mais ils se sont heurtés à la fermeté et à la résistance des Mecquois à leur égard, en particulier à Kairouan, lorsque la plupart des événements du conflit ont eu lieu entre les chiites qui étaient nouveaux au Maghreb et les savants et juristes malékites en poste à Kairouan en particulier, où ils ont résisté à la marée chiite et à sa violence en combinant résistance pacifique, scientifique et dialectique, ils se sont plutôt appuyés sur la résistance Forces armées en afin de faire face aux crimes odieux des Ubaidites contre la propriété en particulier et les sunnites et l'islam en général

Mots clés: l'état d Ubaid, les malikis, Kairouan, les chiites d Ubaidi.

Summary:

At the end of the third century and the beginning of the fourth century AH, the Islamic Maghreb witnessed the establishment of the first Shiite state on its lands, the Ubaid Shiite Ismaili state, who ruled the region between (297-362 AH / 909-972 AD) and tried to spread their sect in various ways, using the worst means, but they clashed with the steadfastness and resistance of the Malikis to them, especially in Kairouan, where most of the events of the conflict took place between the new Shiites arriving in the Maghreb, and the Maliki scholars and jurists stationed in Kairouan in particular, where they resisted the Shiite tide and its violence in ways that combined peaceful, scientific and dialectical resistance, rather they relied on armed resistance. In order to confront the heinous crimes of the Ubaidis against the Malikis in particular and the Sunnis and Islam in general.

Key words: the Ubaid state, the Malikis, Kairouan, the Ubaidi Shiites.



كلية العلوم
الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES
AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Issues

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف المسيلة

University Mohamed Boudiaf of M'sila



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
ديابنة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: موقف العبيدين من المالكية في القيروان
(297-362هـ/909-972م)

إعداد الطلبة:

- 1- علي زياش رقم التسجيل: 042048303.....
 - 2- توفيق محمودي رقم التسجيل: 054104338.....
- القسم: التاريخ..... الشعبة: علوم إنسانية... التخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط
إشراف: محمد الصديق محمودي الرتبة: أستاذ محاضر ب.

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2020-
2021 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة.

رئيس فريق الاختصاص

موافقة وإمضاء المشرف(ة):

رئيس القسم

Web site : <http://virtuelcampus.univ-msila.dz/facshs/>
Face book : <https://www.facebook.com/FshsUnivMsila/>
Tél / Fax : +213 35 35 3044

البريد الإلكتروني:
البريد:
هاتف/ فاكس: